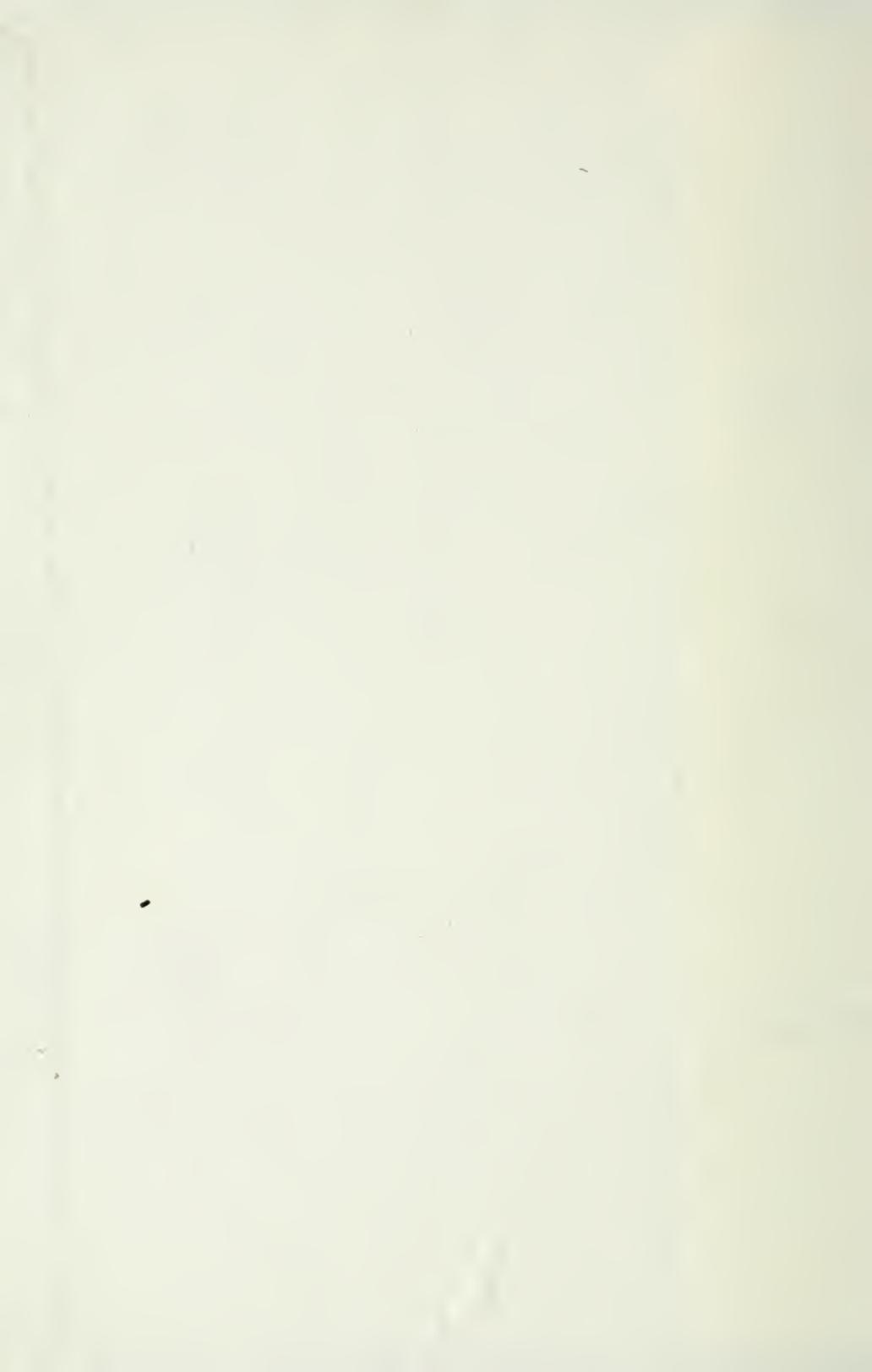
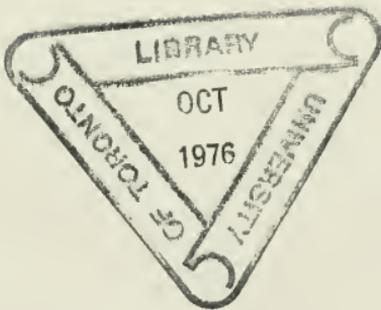


PJ
7840
A3963
M8
1922





والآن استودعكم الله جميعاً فهل تقبلون قبلات الوداع .
وفي فجر اليوم التالى أسلمت الروح ولقد كان حزناً عليها شديداً ودفناها
حسب اشارتها فى البلدة

*
* *

كفنى شقيقى ان أتم المذكرات باضافة قصة مرضه اليها . وما كنت راغبة
فى عمل هكذا ولكنى لم أجد مندوحة من اتمامه لشدة الحاحه على .
وقع موت صديقتى على زوجها كالصاعقة وسرعان ما انتابه المرض فكان
يعاوده احيانا ويذهب عنه حيناً . ولقد اصيب (بالانفلونزا) الاسبوع الاخير
فلم يمهله داؤه الجديد إلا ثلاثة أيام واحتفظه من بين أيدينا .
وقبل أن يسلم الروح قال لى :

ادن منى ياشقيقتى : لقد قاربت الموت ووصيتى أن ترى أطفالى وطفلك
وتنفذى وصية والدك وارادة زوجتى . اتماهدينى على ذلك :

فقلت له وأنا اجهش فى البكاء .

أعاهدك ان افعل ما فى وسعى لسعادة الاطفال .

*
* *

وبعد الغروب بقليل اسلم الروح وهو بين يدي فدفنته حسب ارادته جوار
زوجته ولكنى رأيت الا أستمروا مقيمة بالبلدة بل فضلت التروح الى حلوان
لخدمت زوجى بذلك فوافقتنى على رأى واخترنا حلوان لنا سكنا .

*
* *

لقد خلف لى العزيزان الحسرة وكانت قصتهما عبرة وعظة

﴿ تمت ﴾

بقية المذكرات

كلفتنى زوجتى أن أتم مذكراتها التى كتبتها عن حياتها : حياة الزوجية الاولى وحياة الزوجية الثانية وما تخللها من حياة العهر والفجر وإطاعة لامرها أتم مذكراتها .

لشد ما تعذبت المسكينة فى مرضها الاخير ، ولشد ما قاست منه ، فلقد أضعف جسمها وأنحله بعد أن أنك قواها ولكنها احتملت ذلك بصبر جميل لازمت فراشها ثلاثة أشهر تألمت أثناءها أشد الألم وزاد الاطباء ألمها بمخدراتهم وأحقاقهم

قضت أيامها العشرة الاخيرة ملازمة فراشها لا تتحرك الا نادرا ولا تتكلم الا قليلا بل كانت تتمتم أحيانا باسمى وأخرى باسم والديها وفى يومها الاخير عاودها بعض قواها فقالت لى وهى تتألم :
انت هنا ، مسكين ياطفى سأخلقك وحيدا فى الحياة وسأرحل للعالم الآخر الليلة فهل تدعو لى ومن تبنيتهما وصديقتى لا تزود منهم بنظرة الوداع أسرع فدعوت الاطفال وشقيقتى ولما اكتمل عقدنا قالت .

يشق علىّ ان افارقكم ولكنى مسرورة لانى سألتقى بكم بعد فى جنّة الفردوس : أما أنت يا ابنتى فاعتبرى بحياتى واعظى بشقائى ولتكن مذكراتى التى عنيت بكتابتها لك خير درس ووالدك -- وأشارت الى -- سيبذل جهده فى تثقيفك . أما انت يا والدى فوالدك سيقص عليك قصته التى أعتقد انها خير درس تتعلمه . وانت ياطفى استخلفك بحبى أن تبذل جهدك فى تثقيف ولدينا والاعتناء بهما وكذلك بمن تبنيتهما والصديقة ستساعدك فى هذه المهمة

٢٧

المرض

شاءت حياة العهر ان تذكرني دائماً بشرها فأورثتني مرض الصدر الذي
أعني معالجته امهر الاطباء فكان كالشبح الخيف يذكرني بماضى الاسود
عاودني المرض هذه الدفعة بشدة فاستشرت اطبائي كما اعتدت استشارتهم كل
سنه ولكن أملهم بشفائي كان ضعيفاً جداً . فشعرت ان نجحي قد آذن بالافول
لم اكن لأخاف الموت أو ارتعد منه ، بل كنت اخشى ان أترك طفلي و لا
نصير لهما في الحياة

*
* *

لم يمض على استشارة اطبائي نصف عام حتى عاودني المرض بشدة قاسية
حتى انه لم يمكنني ان أتم قصتي فدفعت بدفتر المذكرات لزوجي ورجوته أن
يتم قصتي لاني اشعر ان أجلى قد حان
حاول طفلي ان يقنعني ان حديث الاطباء لا يؤبه به ولكني لم اقتنع بمحديثه

- اوافق اذا كان ذلك في مقدورى
— سأكون ام الطفل اترضى بي أماله ؟
— هذا منتهى ما تصبوا اليه نفسى وكم وددت ان احثك بذلك ولكنى
كنت اخاف ان تقابل طابى بالرفض ، مدفوعة اليه بعامل الغيرة
— سالحك الله دعنا من هذا الحديث فقد اتفقنا الآن اصفح عنى
— من منا أحق بطلب الصفح انا -- طبعاً -- لاني اخفيت عنك سرى
وأبيت أن أبوح به لك ؟
— بل أنا
— وكيف ذلك ؟
— لاني تجرأت فاطلمت على سرك قبل ان تبوح لى به ، ولذا فاني اشاركك
خزتك على حبيبتيك واعاهدك ان اكون ام ولدك
— يالك من فتاة كريمة طيبة القلب ، اصفح عنك بكل سرور وأزيد لى
شاكر لك ممتن لجميلك الذى لن أنساه ما حييت
— لاشكر على الواجب

*
**

وهكذا وضعت حدا لشكوكي وانقطعت وساوسى واكتسبت ثقة طفلى
وعطفه على
ولم يمض على اكتشاف سر طفلى نصف شهر حتى مرض والدنا وانذرنا
الاطباء ان مرضه سيقضى عليه ولقد كان هو الآخر يشعر بذلك فطلبني
واخبرني انه رأى أن يتم عقد زواجى فى صباح الغد قبل ان يقابل ربه الكريم
وفى صباح الغد عقد زواجى على طفلى وبعد ثلاثة أيام من عقد الزواج
توفى والدنا البار فكان الحزن عليه تاماً سواء فى الاسرة او فى القرية لانه كان
باراً بالفقراء محسناً للمساكين مكرماً للضعيف مساعداً للمحتاجين
وقد أراد الله جلت ارادته ان يكافأنى صبرى الطويل وشقائى الكبير
بغلام كان عزائى فى أيامى الاخيرة

- كلا وانما زوجها هو الذى ابتداً بهجرها فسهل لها ذلك السبيل والحب
لخطتها تملك حواسنا وأقصد بالحب ، الحب الجنونى
— ولم خاتته ؟
— لانها اكرهت على زواجه
— الا تزال حية ترزق ؟
— لقد انتقامت لجوار الله ربها الكريم
— مسكينة هى غفر الله ذنبها وعفا عن خطيئتها الكبيرة
— اتمتدين انها خاتته ؟
— وهل يخامرک شك فى ذلك ؟
— نعم أعتقد خلاف ذلك ، اذ ارى ان عليه وحده تقع المسؤولية
— اخانها زوجها فصادق خليات أم زوجات رجال آخرين
— خانها مرات عديدة بان صادق زوجات فاصبحن له خليات
— أرى ان المرأة يجب عليها الا تخون زوجها ولو خانها هو لانها هى
المحافظة على النسل وعليها تقع المسؤولية دائماً لا عليه أما هو فدائماً برىء
— هذا رأيك ولكنى أرى خلاف ما تمتمدين
— أأتمرت خيانتك الدينثة ؟
— نعم قدر الله لها ان تنمر
— اغلام ام طفلة ؟
— غلام يشبهها تماماً لا يزال على قيد الحياة
— وهل تزوره وتراه أم هجرته ؟
— اننى آت من عنده الآن لأنه مريض طريح الفراش واخشى أن
يودى المرض بحياته
— اذلك سبب أملك الذى تخفيه ؟
— نعم ذلك هو السبب ؟
— اطلب منك طلباً أتوافق عليه ؟

- حتى لمن ستكون زوجتك
- لم استئن أحد وقت ان عاهدتها ذلك العهد
- ألا تظن ان الزواج المخوف بالاسرار يسبب كثيرا من المتاعب وينتهى
غالباً بالشقاء والالم
- أتظنين هذا الظن
- ولم لا أظن وقد بحت لك باسراى كلها
- لكنى لا أستطيع الحنث بقسى
- اكفيك مؤونة الحنث انما لى حديث معك
- تفضلى فكلى آذان صاغية
- وانما على شرط
- موافق على شروطك مقدماً دون ان اعرف شيئاً عنها
- عدنى ان تكون صريحاً
- أعدك أن أكون كذلك
- أنت تحببى الآن ولكن ألم تحب غيرى ؟
- نعم كنت أحب التى حدثتك عنها فى خطاب اعترافى
- ألم تحب غيرها ؟
- لم أحب غيركأ أجد فى الوجود
- وصاحبائك وخليلاتك اللاتي حدثتنى عنهن ؟
- لم يكن لهن أثر فى نفسى
- ألا تزال تحبها من صميم قلبك
- ما زلت احفظ ذكرها وجميل عهدها وايامها اللذيذة الجميلة
- وهل كانت فتاة أم زوجة ؟
- كانت زوجة
- اذن خدعتها واغريتها فخان زوجها فأصبحت ساقطة

ما انتهيت من اكتشاف ذلك السر الذي شاء طفلي ان يدفنه في صدره، حتى جمعت الخطابات كما كانت ووضعتها في محلها الخاص بها بعد أن القيت نظرة على البائسة المسكينة، نظرة ضمنتها كل عواطفي نحو من استشهدت لالاجل الحب فحسب بل من جراء التقاليد الاجتماعية التي طالما وقفت حجر عثرة في سبيل تحقيق أمانى فريق كبير من الناس

*
*
*

قررت ان الازم غرفتي وانتظر حضور طفلي الذي تكهنت ان غيابه متملق بطفله الذي يريه عند مربية والذي آليت على نفسي ان آخذ على عاتقي مهمة تربيته وعزمت ان أخصه بمطفي كأنه ابني . عساي بذلك أ كفر عن ذنوب حياتي الاولى

حضر طفلي عند انتصاف الليل فاسرعت لاستقباله فاذا به يلهث تعباً واذا أمارات حزن خفيف تبدو على محياه الاصفر الممتقع

لو جهلت سر طفلي ما استطعت ان ألاحظ حزنه القلبي ولما دخل على الغرفة ووجدني انتظره بدأني التحية والابتسامة تملء فيه فقال

- آه شكرا يا حبيبتى ألا تزالى تنتظرينى ؟

- أ كنت تتوقع منى غير ذلك

- لا لكنك تجهدين نفسك اكثر من اللازم

- وهل تعبى يوارى متاعب نفسك ، إنى ألاحظ فى أسارى وجهك انك

تكتم عنى سرا وهذا السر يتعبك ويسبب لك نصبا

أعتقدين ما تذهبين اليه ؟

- أنا موقنة لانك اخبرتنى انك ستكتم عنى سر حبك الماضى

- هذا صحيح لانى سأحفظه فى سويداء قلبي وهذا السر لايمك معرفته

- وكيف لايمهني ذلك وهو شغلى الشاغل

- هذا عهد قطمته أمام من أحببتى ألا أبوح بسرها لمخلوق

انى أخشى ان طلبت منه بألحاح ان اسبب غضبه وان سببت غضبه قد لا
تحسن العاقبة .

اجل أعلم ان طفلى يحبنى فاذن لا معنى ان يكشف لى سرا ويقول لى انه
احب أخرى ولكى اضع حداً لذلك الشك الذى يساورنى والريب الذى يخالج
نفسى وامنع ما لا تحمد عقباه يجب على ان اطلع على هذا السر .

ان الدافع الاذنبى ضعف أمام الدافع النفسانى . ولذلك أخذت افتش فى
ادراج المكتب ولكنى لم أعر على شىء فيها ولما فتحت الخزانة . عثرت على
صندوق جميل . مكتوب عليه ما يلى :

« أرجو من يعثر على هذا الصندوق الا يفتحه »

علمت تـوان ان بهذا الصندوق سر طفلى

فتحتة فتضوع من داخله رائحة (زهرة الحب) ووجدت كراسة صغيرة
وتسع خطابات ثم خصلة من شعر داخل متديل حريرى ثمين ثم اطراً جميلاً
داخله صورة امرأة .

نظرت للصورة الشمسية فاذا فتاة جميلة لا تتجاوز من العمر خمس عشر
ربيعاً ، متناسبة الاعضاء ، جذابة الملامح ، تم ملاحظها على انها وديعة نبيلة
كان هـي الوحيد بعد ذلك قراءة الكراسة وتلاوة الكتب التبعة
امسكت الكراسة بين يدى فاذا فى مقدمتها ما يلى :

مذكراتى عن حبيبتى

أخذت فى تلاوة الكراسة ، فاذا مقتضب قصير لما حدث بين طفلى وبين
من تحبه ثم تدرج عقب ذلك لذكرى حبه وشرح عواطفه نحوى ، ولما طالعت
الكتب أنارت لى بعضهم ما أبهم فى ورفات المذكرات

احدته عن كل شيء قبل ان يسألنى وبعد مضى شهرين عدل عن اسئلته ، اما
انا فلم اعدل عنها اما هو فكان يجاوب اسئلتي مبتسما

لاحظت ان طفلى يكتنم عن سرا وحاولت مرارا ان اكتشف هذا السر
فاخفقت وأظن انه يسوءه ان اطلع على سره . ولكنني عبثا حاولت ان
افهمه ان ذلك يسرني أكثر مما يسئني ، فان ساءنى فيكون ذلك لوقت قصير

*
*
*

كنت انتظر زوجي في الحديقة ولكنه غاب الليلة أكثر من عادته
انى اسمع على البعد وقع أقدام فهل هو القادم ؟ لا ! انه وقع اقدام قد
ابتعدت واظنه جارنا المزارع يرجع لداره بعد ان أمضى سحابة نهاره
في العمل .

لم أستطع ان اتكهن سبب غيابه ولكنني غالطت نفسي وعزوته لكثرة اعماله
غادرت الحديقة لما دقت الساعة العاشرة ويمت غرفة زوجي ووقفت
قبالة مكتبه وأنا أقول في نفسي !

« ان في زوايا ذلك المكتب لا بد ان أجد سر غيابه

سرطان ما رجعت الى وساوسى الماضية وسرطان ما وجدت في نفسي دافعا
يدفعنى لا اكتشاف سر غيابه . ولكن كيف السبيل لذلك والمفاتيح لا
تفارقه . ومن العار خلع الادراج لاكتشاف السر ، ولكنني سأبحث عنها
لانه قد يكون قد حان وقت الاطلاع عليه

وافرحناه ! ها هي المفاتيح لقد عثرت عليها تحت وسادة السرير .

ولكنني تراجمت عن فتح المكتب وقلت لنفسي :

أيليق ان اكتشف سره في غيابه ؟ لم لا أطلب منه بالخاص ان يطلعنى

على سره ؟

بسيط مادتم تعطونني حاجتي من المال . وهنا يتسابقون وانا أتدل وعندما
اعلم ان الصفقة رابحة أحقق امنية من يزيد في الثمن
اقتصرت على عدد قليل من الخلان وكانوا اربعة يتسابق كل منهم ليكون
له الحظوة في عيني وانظر عن كشب لأرى من ذا الذي يسرف اكثر من أخيه
في رضائي فيحتم علي ان اكون له خلية ولو الى حين
كنت اسخر من الفائز لانه صرف كثيراً دون جدوى ، فهو يريد ان
تمتلك قلبي ، وقلبي لا يمتلكه الا حبيبي ، اهب ذلك الحبيب قلبي ، دون مقابل
احبه بكل جوارحي ، وان كا لا يحبني ولا يأبه لحبي
نعم أتعذب في حبه ، ولكني لا أستطيع ان احب غيره .
لم يشأ الله ان اهب قلبي لمن لا يحبني ، بل أراد « ويجب ان نذعن
لارادته » ان اهبه لمن يهب لي قلبه .

*
* *

لشد ما تملكك طفلي حمى الغيرة ، ولشد ما التي على نصائح كثيرة واعتماد
قبل ان يبارح الدار في الصباح ان ينظر لي نظرة ذات معان ثم يعقبها بطبع
القبلة الصباحية ، وكأن هذه القبلة مسكنة لوساوسة . فاذا عاد في المساء سألتني
ماذا عملت في الصباح ؟ وكيف قضيت يومي ؟ وهل قرأت ؟ وان كنت قرأت
فاذا قرأت ؟ وهل تلقيت مراسلات ؟ وان كنت تلقيت فمن من ؟ وهل
كتبت لاحد ؟ وان كنت كتبت فلمن ؟

ولدت غيرته ووساوسه في نفسي الغيرة فكنت اسأله انا الاخرى بدوري
فأقول له : أذهبت لمكتبك فوراً ؟ أزارتك سيدات اليوم ؟ هل هن جميلات ؟
أأتيت من مكتبك على الثور ؟ ألم تعرج على حانة ؟ ألم يتحدثك صديق فيحسن
لك الشراب ولعب الميسر ؟

كنت اتضايق من هذه الاسئلة اولا ولكني بعد حين ألفتها فصرت

بسيرها في المدن بين الناس واحتسكا كرها بالاشياء ، وقد يتجسده هذا الخيال
فيكاد يلمسه ، ولو كانت قليلة المبالاة بن تلقى ، عديمة الاحتفاء بما حولها «
كنت أمضى سحابة يومية في الاشغال المنزلية وأتعهد ابنتي يومي الخميس
والجمعة ، وانتظر طفلي في الحديقة اقطع الوقت في قراءة كتاب

كنت اشعر ان قلبي مغمم بالسرور ، وفؤادي مملوء بالفرح ، ونفسي
راضية مستبشرة ، فاذا رأيت قطيعاً من الغنم يغدو ويروح حسبته مغتبطاً مثلي

*
* *

شعرت بنعمة الحب ، الحب الذي اعتقد انه سبب سقطتي وكان هادماً
لامالي ، قاضياً على أمانى ، مقوضاً لسعادتي

لم أحب زوجي الاول بل اخلصت له اخلاصاً لا تشوبه شائبة فتوهما
اننى أحببته ، أما حبي للدكتور فكان اعجاب به خصب ، أما شعوري نحو
طفلي فغير ما كنت اشعره نحو زوجي ونحو السيد الطبيب لاننى أحببته وكان
هو يقابل حبي بحب اعظم ، وسنمثل الآن دور الحبيبين وسنتنزه سوياً في
الحقول تحت ظلال الاشجار الباسقة المورقة وفي الليالي الممتعة نتناجى طويلاً
تحت ظل شجرة ينعكس عليها ضوء البدر الساطع فيكسب موقفنا روعة وجلالاً
سيمسك يدي بين يديه ويضغط عليهما بشدة فتسرى كهرباء الحب في
جسمي من قمة رأسي لاصص قدمي فانتفض واهرع نحوه وارتمى بين يديه
فيقبلني فتكون قبلته برداً وسلاماً

*
* *

وهكذا طرت في جو الخيال ولكن لم ألبث الا القليل حتى صادمتني
الحقيقة الواضحة ، وحدثتني اننى حتى الآن خلية ومن يدري ما يخبئه لي القدر
كان عشاقى يطلبون منى ان اباد لهم الحب واعطف عليهم كأن الحب عمل
ميكانيكي عمله ، وكنت أنا الاخرى أظهار باجابة طلبهم واقول هذا سهل

الخليلة

في قرية الخادمية (غربية) عشت مع طفلي في منزل والده
انتقلت من حياة المهر لحياة المخاللة ، ولكن حياتي الآن شبيهة بالحياة
الزوجية ، الا انه ينقصها ذلك الرباط المقدس ، الرباط الذي يربط القلبين
الى الابد

ما كنت قبل اليوم اعرف اني سأحب طفلي حباً يتملك فؤادي ويسبب
سعادتي وهنائي ، لاني كنت أظن دائماً ان الكتاب تجري وراء الخيال ولا
تصور الحقيقة ولكن الآن تحققت انهم صادقون فيما يذهبون وجميل هو
قول الكسندر دوماس في هذا الصدد :

« جرت العادة قرن الحب بالخلاء ومزارع العراء ، وأحسن بما جرت به
العادة ، فانه ليس ثمة من اطار يتأطر حول الفتاة الحبيبة ، أبهج من السماء
الزرقاء ، ولا أشهى من الروائح الفيحاء ، والزهور الغضة اليانعة ، والنسائم
الرخية ، والمكان الموحد ، تملأه الاضواء بين الحقول أو الغابات . وعدا
هذا فالمرء اذا أحب حباً صادقاً فليجدن الغيرة في قلبه قليلة أو كثيرة مهما
بلغت ثقته بحبيبته وطمأنه ماضيها على مستقبلها

وان كنت أحببت مرة فأنت لاشك تدرك معنى الحاجة الدافعة التي لا
تفتأ تدفع بالحب الى فصل حبيبته عن الدنيا بأسرها ، لتكون له وحده ، فانه
ليخال انها تقمذ جزءاً من طيبها الفائح ، ويذهب شيئاً من وحدتها الكاملة

لحبها ويتألم لعذابها

طلبت منها الزواج فقبلت ، ولكنها اشترطت رضا أهلي وأولياء أمرى ،
ولكنهم بعد الجهد الشديد ، وضعوا شروطا اعدها شديدة الا انها قبلتها ،
قبلتها لانها تود ان تضع حدا لمعيشتها التى تتألم منها
الا تستحق غفران الذنوب التى ارتكبتها مسوقة لا بخيرة

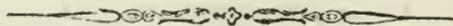
*
**

ما انتهى الشاب من حديثه ، حتى سمعت هاتفا يقول :
سيئاتك ترجح حسناتك ، وجرأتك تربو على خيراتك ، وما تحملت من
العذاب لا يساوى ارتكبت من الذنوب
ولكن هناك طريق للاناة والغفران ، فان سلكت سبيل الرشاد ، تنالين
الغفران من رب العرش العظيم

*
**

انصرف الجمع المحتشد وانصرفت انت الاخرى يتأبط زراعك الفتى وعلى
يسارك الفتاة وفى طريقك قابلت فتاة صغيرة تبسم لك
تبينت هذه الفتاة فاذا هي ابنتى وانى د شاهدت نور الطهر يشرق من
عينيهما فعلمت انها لانزال شريفة فشكرت لك تضحياتك وطلبت من رب العرش
التقدير ان يغفر لك ذنبك

هذا ما رأيته فى عالم الرؤيا



كنت سبياً في اقرارها الذنوب .
نعم كنت الممهدها لسبيل الطغيان . ولكن الله نالني بعض جزائي
فمذنبني في حياتي

اعترف اني مخطيء اعترف انه على وحدي تقع المسؤولية

*
* *

وهنا ساد سكون طويل قطعته السيدة التي كانت واقفة على بعد
منك وقالت :

كنت على وشك ان اصبح كاحدى بنات الهوى لولا اليد الكريمة التي
مدتها لى السيدة المائلة أمامي .

نعم لولا مساعدتها وعظفها لغدوت ساقطة ، ولكن بفضل حسن سياستها
استطاعت ان تصير شقيقتي يرى ما أرى ويجاهد ليقنع والذى بالاراي الصواب
دون ان يظلمه على سرى المخجل وذلتى الشذيمة .

وإذا أضفت لما سلف مساعدتها لبعض الفتيات في الزواج ، ومد يد
المساعدة المحتاجات أفلا يخفف ذلك عنها بعض ما تستحقه من العذاب

*
* *

وهنا تقدم الشاب وقال :
احببت هذه السيدة منذ رأيتها وقدر الله لها أن تجبني ، لم أحبها كحبي
لبنات الهوى اللاتي كنت أتردد عليهن بل أحببتها لنفسها ولأني رأيت اني
ان انتشلتها من ورطتها احذت صنعا

كانت تجهل عظيم حبي ، ولما علمته ظنته حبا شهوانيا ، كذب الرجال
للعاهرات ، ولكنني لما كاشفتها به وصارحتها ما في نفسي . قابلت حبي
(بتحفظ)

نعم رضيت بصدقتي ، ثم صرحت بحبها الدفين الذي كانت تسكتمه ،
والحب الذي كانت تخشى ان تصرح به لان البغي لم تتعود ان تجده من يصغي

وهكذا تعاقبت النساء في الشكوى ، اما الرجل فلم ينبس أحداً منهم بيذت
شفه ولكن الطبيب تقدم وقال :

ليس هناك من سبب لاقتراح الجرائم التي ارتكبتها سوى الحب
الشهواني

ما كنت أعرف هذه السيدة وما كنت أظن اني سأحبها يوماً ما
ولكن هي الظروف مهدت لي ذلك السبيل ، وزوجها هو الذي سهل لي
هذا الامر

نعم كان هو الدافع ، فلو لا ان سمح لي برؤيتها لما أحببتها ، ولما غدت هي
طاهرة ، وكان لسان حاله يقول :

ها هي امرأتى ، حبها كما تشاء وتموى ، هي لك ، تصرف بها كما
يجلو لك .

نما الحب الشهواني في قلبي ، ولكن قابلتني بالصد ، ولما قابلتني بالصد ،
ازدادت نيران حبي اشتعالا حتى مالكت كل فراغ قاي .

حدث الحادثة المشؤومة فتهللت بشرا وفرحا واستخدمت مهنة الطب
لأنقاذ حياة فرد لا يرجى له نفع . فعلت ذلك لأحظى بمن أحب وبعت لها
حياة زوجها بأعلى ثمن

شعرت وقت ان ساومت بمهنتى الشريفة لغرض ذئى ، أنى لا أساوى
شيئاً وان الحيوان المفترس قد يكون أرحم منى وأشفق .

شعرت بمد تلك الاحظة انه لا ضمير لي لأننى سمحت لنفسى ارتكاب
ما حرمه الله

غاب عنى الظرف الدقيق الذى كان محيطا بها وباليمنى اكتفيت بذلك بل
شوهت سمعتها وحملتها ان تتركب هذا المركب الخشن ، وتتحمل ما تتحمل
من العذاب

قدتها حياة المهر وطاوعتنى هي لانه لم يكن لها مخرج غيره وهكذا

أنا لا أشكو المرأة المائثة أمامي ، التي كانت بطريق غير مباشرة علة
مصائبى ، وسبب شقائى
بل أشكو أولياء أمرى المسبيين لى الشقاء ، المسبيين لى ما أتحملة من
ضروب الذل واصناف الفاقة .

نشأت فى الريف فى عزله عن العالم المملوء ، بالفساد ، فكنت سليمة
الطوية ، لا أعرف لؤما ولا مكرآ ، ولا غشا ولا خداعا
كنت اصدق كل ما يقال لى ولو كان كذبا صريحا
ما كبرت وتزوجت حتى كان نصيبى زوجآ ظالمآ ، بل وحشا ضاريا
علمنى والدى أن أحب زوجى مهما . كان قاسياً فاحببته ، واخلصت له ،
واصبحت العبدة الرقيقة والجارية اللذيلة . فكنت أطيعه طاعة عمياء ولم أعرف
شيئآ عن دخائله ، لانى لم أعود ذلك منذ الصغر
تركت حبل زوجى على غاربه ، فساعد ذلك على الفساد ، فتدهورنا فى
هاوية الفاقة

وبعد قليل عرفت الحقيقة المؤلمة ، عرفت ان زوجى يجب سيدة بل
غانية طاهرة
وسمعت انها متعلمة رحيمة ، ثم عرفت بعد ذلك انها لا تجبه لانها فى
شاغل عنه لكثرة المعجبين بجمالها ، المتهافتين على صداقتها
ولكن ما ذنبها هى والرجال تتهافت عليها ، وتتقدم اليها بالعطايا وتود
امتلاك قلبها ، وهى ترفض من ترفض وتقبل البعض لتسرى عن نفسها
بعض همها

كان زوجى يريد الاختصاص بها ولكنه اخفق لانها كما علمت لم تأذن
لعاشق ما ان يشتري حريتها
بل كانت تقابل الجميع بصورة واحدة

اللعمنة دنيا وأخرى
فالى رب العرش العظيم أشكو هذه المرأة

بعد ذلك أخذت السيدة تجهش فى البكاء وخلال بكائها سمعتك تقولين:
أنا لا أشكو الاقدار التى سببت لى العذاب ، ولا الظروف التى قادتني
لحياة العهر ، ولكنى أشكو الرجل مسبب بلائى ، وأشكو الاخلاص الذى
طبعت عليه فكان مسبب شقائى

للرجل خلقت ولاجل الرجل ضحيت ، ومن أجله أتعذب الآن
سمعت همساً : أن لذلك الرجل ، الخليل الذى لا أحبه ، زوجة وأولاد
هنا شعرت بالمسئولية الكبرى الملقاة على عاتقى ولما كنت زوجة قدرت
آلام زوجته وبؤس أولاده ، لا سيما وقد سمعت انه يسرف فى ماله من غير
حساب ، ولذا بذلت جهدي لأردعه عن غيه وأرده لزوجته وأولاده فلم أفلح
نصحته كثيراً ولكنه كان يقابل نصكى بالهزاء والسخرية فأوقفت نصحى
واستبدلت رأفتى وشفقتى بظلم فمذبته أملا فى ردعه ، وكنت اكفه كثيراً
أمله أن يملنى ، كنت أسرف امرافاً مدهشاً فى ماله وهو يتكرم على بكرم حاتمى .
كان يظهر لى الحب ، وكنت أظهر له البغض ، كان يقابلنى بالاحترام
وكنت أقابله بالاحتقار فان غلظت وأظهرت له العطف مرة والرضاء لحظة ،
طار فرحاً وعد نفسه أسعد مخلوق

كان عقابى اليما وعذابى له ميمتاً وسرعان ما افتقرت اسرته وتشرد ابناؤه
وفسدت بناته ، وظلم المستقبل فى وجه صغاره جزاء وفاقاً لما قدمت يدها
من الأثم
فهل اخطئت ؟

*
**

وإذا بسيدة تبلغ الثلاثين من عمرها تتقدم وتقول :

ايتها المرأة : كنت شريفة فأصبحت ساقطة . اخلصت لزوحك وضحيت
من اجله واجل حبك بعرضك لانقاذ حياته . فاستحققت رحمة مزوجة بلعنة
ولم تقف عند هذا الحد بل تهاديت في ظلمك واستمررت في غيك . فنشرت
الفساد وذلك رجاء ان تنتقمى من جنس الرجل الواقف جوارك . من الرجل
الذى مهد لك مواطىء الرذيلة

وهنا تقدمت امرأة تبلغ من العمر أربعين سنة ابيض شعرها من الهجم
لا من الهرم . تقدمت هذه السيدة وقالت :

اشكو هذه المرأة الواقعة امامى ، اشكو هذه الطاغية الظالمة ، اشكوها
ويشكوها اولاد تسعة ، سلبتهم حنان والدحم ، وقضت على مستقبلهم ، فمنهم
من لا يزال طفلا فى المهدي ، ومنهم الفتاة التى تحتاج للتعليم ، ومنهم الشاب الذى
يحتاج للمعونة ؛ ومنهم اليافعة التى تؤمل فى الزواج

نشأ من هؤلاء لص سارق هو رهين السجن لانه كان يغتصب الاموال
ويزهق الارواح ويستسهل القتل ولا يخشاه بعدآن كان ورعا نقياً

وغدا الثانى محتالاً يسلب اموال مواطنيه ؛ ولقد ظهر من بينهم السكرير
الذى يعاقر الخمر ليل نهار ولا يشفى له منها غليل ، وانفرطت من عقدهم الفتاة
التي زين لها الشيطان فعدت عاهرة فاجرة تقضي على آلاف مثلى

كنا فى رغد من العيش لنا قصور عالية وضياع شاسعة ومزارع متعددة
فأصبحنا لا نملك حتى قوت يوم واحد

نعم كان زوجى يشرب الخمر ولكن باعتدال وبعد تعرفه بهذه المرأة
اصبح سكيراً مقامراً وغداً فاسقاً ظالماً

كنت اسهر الليالى ارقب عودته وانتظر او اوبته ، فاذا عاد نالنى جزاء
انتظارى عديد من الصفعات والاهانات ، وكنت اتقبل ذلك بسرور ، نعم
بسرور رجاء ان اصلحه ولكن على غير جدوى

تفرقنا بعد ذلك أبدي سباً وذلنا من متاعب الحياة قسطوا فرحات علينا

الله بقدر ما بذلت من الدموع وبقدر ما نالك من نار التبكيت
ثم خيل لي أنه يعالج سكرات الموت واذا بصوت شبيه صوته يقول لي :
أى زوجتى . لقد انتقلت للعالم الدائم وتركت الدنيا الفانية وها أنا أسير
في طريق مظلم . فتمثل أمامى صور تضحياتى بأشكال مرعبة مخيفة . هى تسرف
في عذابي وتنتقم منى أعظم انتقام وتشكو الى رب العرش الجليل مر الشكوى
يصحب ذلك أصوات تقريع . صادرة من أرواح تتطاير هنا وهناك : هى
أرواح الاجنة التى أجهضتهن تلك الاسيفات خوفاً من العار
أراهن الآن عابسات بعد ان كن ضاحكات . هازئات بعد ان كن رزينات
با كيات بعد كن فرحات

أراهن يسبين تعاستى بعد ان سبين مسرتى . يسبين آلامى بعد ان سبين
أفراحي

أتعذب اليوم عذاباً اليماً وذلك جراء ما اقترفته يداى

أشاهدك آتية من بعيد وخافك جم غفير من الصبيان والشيوخ وكل
يجب أن يتقرب منك . وكل يجب ان يماشيك فأقول فى نفسى :

ما بال زوجتى . أغدت ولىة يسعى الشاب والشيخ ليتقرب منها
وبينا أحدث نفسى اذا بهاتف يقول :

أنظر خلفك

فأنظر فأرى جيشاً من الفتيات والنساء أعمارهن مختلفة . وهن با كيات
نادبات . ثم أراك آتية بعدهن يتبعك الطيب النذل على اثره شاب فى مقتبل العمر
اصطفت الرجال فى جانب والنساء فى آخر . اما انت فوققت فى الوسط
جوار الطيب وعلى مقربة منك الشاب . ثم رأيت سيدة قادمة من بعيد وقت
جوار الشاب

لم استطع ان افهم لهذه الالغاز حلا . وبينا أنا مرتبك اذا بصوت يقول

بى أرى عينيه قد ففتحتا والطبيب قد ابتسم وليكنى أرى زوجى قائما من
فراشه صامحا :

يا لك من حيوان مفترس ، يا لك من لص دنى ، يا لك من قاتل سفاح ،
أنت يا من تصف لى الدواء ، وترجو لى الشفاء ، وتطلب لى الحياة ، مستعملا
مهارتك لمداواتى . أنك تجهز على روحى ، وتصبنى فى أعز عزيزلدى ، تصبنى
فى عرضى لتبهنى علاجا ناجعا

يا لله من هذا التضارب ، تشفى من ناحية وتميت من أخرى ، تنزه الفرصة
لتنغلب على المرأة القديسة التى ضحت عرضها لتبهنى الحياة

تحنث بالقسم العظيم قسم أبى الطب (أبقراط) ، الذى حلفته وقت أن
تخرجت ، تحنث القسم ازاء لذة دقائق ، ثم تمنى على بالفضل واكون أسيرالك
طول حياتى ، لانك أنقذت حياتى وخلصتنى من مخالب الموت

ولكن زوجتى دفعت اليك الأثمن أضعافا مضاعفة . دفعت اليك شرفها
وطهارتها فكنت من القوم الخاسرين

أى عدوى المتقمص ثوب الصديق : أتوسل اليك لا بل أنضرع ، أن
تقضى على . لا ! لا ! بل أبذل جهدي وعامك لنجاتى ، نج حياتى لا أدافع
عن زوجتى وابنتى لا تنسلهما من العار الذى قدتهما اليه

أستحلفك بالله أيها الصديق ، ألا تمس بيدك النجسة هذه الزوجة الطاهرة
ابعد عنها ، توارى عن عيون الناس ؛ لا تحترف صتاعتك الشريفة التى
دندنتها بيدك الاثيمين

وأنت أيتها الزوجة . يا من دفعت أثمن ما تملكين لتنقذى حياة زوجتك
الذى لم يزع حرمتك . ولم يصن شرفه . كما حافظت أنت على عرضك

ضحيت رأس مالك كله لتنقذى شرقى ، فضلت أن تصبى فقيرة لا تملكين
شيئا حبا فى انقاذ حياتى . ولما طلبت حياتى تضحية أخرى ثمينة . قدمتها
وعينك تذرف الدمع وقلبك يتألم مدفوعة لذلك بعامل الاخلاص فليساحك

لي أن أسكن البيارستان . لاني لا أرى فيه هذه المناظر التي ترعبنى وتخيفني
لا ! لا ! أن زوجتي مخلصه ، بل هي قديسة طاهرة ، هي ملاك كريم
هبط لينشلني من الجحيم ، ولقد أرسل الله هذه الابنة لتساعدنا في مهمتها
الديقة ، وأسرع في تطهيرى من الفساد والرجس
- ولكن . هناك شك . شك كبير على جسمى ، هو متساط على جميع

عواطفى ، ذلك الشك سبب شقائى

أريد ان اكشفها به ، أريد أن أقول لها :

أى زوجتى . اقسى لى . احافى لى بأغلظ الايمان وبحياة ابنتك الطاهرة
انك حتى اللحظة لم تعرضى سمعتى وشرفى للعار
- اسرعى بالله عليك . قولى نعم

ان كل كلمة (نعم) التي تنطقين بها هي عزائى الوحيد ، هي مزيلة اشكوكى
هي مسكنة لآلامى ، هي باسما لجراحي

ولكنى كلما أحاول ان اطرح عليها هذا السؤال أتمثلها أمامى تبكى وتنتحب
ثم ترمقنى بنظرة غريبة يعقبها تأنيب مؤلم وكأنها تقول لى :

أشككت مره فى ذلك ؟ انك كنت فعلت فلم لم تحذرنى الا الآن ؟ لم لم
تميط اللثام عن نفسك الحبيبة وسريرتك الفاسدة الا اللحظة ، التي أهنى فيها
نفسى بنيل أملى ؟

الافاعلم ان كنت لا تعلم ، الافتيقن انى است مثيلتك فى الفدر
عند ذلك لا أستطيع ان أخادعها كما كنت اخادعها بل قد لا أستطيع أن
أنظر لها . وكم يجلو لى وقتئذ أن أقبلها وأن أعترف لها بصراحة وأقول :

كثير ما خنتك لكنى سأتوب

ولكن الاباء والشمع ينعى عن أن أعترف بهذا الامر الخجل

* *

ثم أراه نأتما فى احدى نوباته . والطبيب يحاول أن يعيد اليه صوابه واذا

كل شيء في الحياة اللهم الا لذتي . وسعادة اللحظة

عند ما أفكر في ذلك وعندما تتجلى أمامي هذه الحقيقة بشكها الحقيقي يسقط في يدي وأفكر ثم أفكر عساي أجد لي مخرجاً ولكن عبثاً ، عبثاً اني لا أجد الا مخرجاً واحداً ذلك هو أن يطيل الله عمري وينسي في أجلي ويحفظني من الموت الذي أخطي له بخطي واسع حتى أستطيع أن أكفر عن ذنبي وأنيب الى الله العظيم وأركع بين يديه طالباً الرحمة والغفران فعسى الله ان يقبل توبتي وانا بتي ويعدني صالحاً

ولكني أشعر اني لا أستطيع ان أكفر عن جرمي الشنيع فأتوب التوبة بمعناها السامي . بل ان قلبي يحدني . أن اليوم الذي ينتهك فيه عرضي قريب ، سوف يحل فأني بذلك ديني . يا لهول ذلك اليوم !!!

ثم أراه وقد تمالك صحته وأراني جالسة جوارها أحدثه ويمدني ثم لا يلبث أن يطرق فأرى كأنه يحدث نفسه قائلاً :

أأسأها ؟ أقول لها ؟ أقول لها ألا تزالى محافظة على عهدي ، باقية على شرفي ، أم قد غرك الشيطان فزين لك الاثم وحبب لك الفساد ؟
هي أم ابنتي وها هي ترضع وحيدي لبنيها فهل ذلك الابن الذي يغذي هذه الابنة شريف طاهر أم غير شريف ؟ فان كان الثاني فلقد قضى على ، وقضى على شرف ابنتي ، وخير لي أن أسكن اللحد من أن أسكن القصر ولا جوار الموتى فعساي اطهر جوارهم من أن أفسد جوار الاحياء

هناك سؤال آخر يجول في خاطري أريد أن أسأها فيه هل هذه ابنتي أم ابنة سفاح ؟ وهل هي لي وحدى أم لآخر فيها نصيب وهل حبها ستقسمه بيننا نحن الاثنين أم لآخرين فيه نصيب وهل ستخلص لي ولانها وحدنا أم هناك مشارك لنا في الحب ؟
يا لله من هذه الافكار ، يا لله من هذا السكابوس العظيم اني اكاد أجن وخير

كالعبد الرقيق ، أو كالخادم المطيع

ينفذ الانسان ما يصدره له ابليس اللعين من الاوامر ، وما يفريه عليه من الشر والاثم ، وتلك سجيته لانه أغرى أمنا حواء أن ترفض النعيم المقيم في الجنات التي تجري من تحتها الأنهار وتقنع بالزخرف الكاذب والطلاء المموه لفل سجل ذلكم الشيطان على الانسان الشقاء الدائم ، وكان الشقاء ميراث الاباء للابناء فيآله من شيطان خسيس ذنى ، يسبب بلاء عظيم ، ويولد في الصدور حقد كمين ، فيسبب بغض كبير ، فيفسد عباد الله البررة الصالحين انى ان رأيت أخ ابليس اللعين ، الوغد اللئيم ، هاجم عليك يريد اغتصابك فانى أتقدم نحوه بسرعة ، هائجاً مانحاً ، مرغياً مزيداً ، ساخطاً لاعنا ، وأنقض عليه وأخذ أنفاسه وأسقيه كأس الحمام جزاء وفاقا

لا أتبين ان كان لى صديقاً حميماً ، يخلص لى الود ، فانه لو كان كذلك ، ما استباح عرضك وهتك شرفك . أو كان لى شقيقاً باراً بى رحيماً ، لانه لو كان كذلك ، ما رضى أن يחדش عرض أخيه ، أو كان ديناً عظيماً ، يقضى نهاره راعماً ساجداً ، متقرباً من الله متوسلاً له ، لانه لو كان كذلك ، ما سولت له نفسه أن يحلل ما حرم الله وهو أعلم بدين الله من غيره . أو كان ملكاً عظيماً يمسك بيده عصاة الامارة ، ويحمل فوق رأسه تاج الملك ، لانه لو كان كذلك لعرف أنه مرآة لشعبه فلهيه أن يحسن سيره ، أو أنه راع وعلى الراعى أن يكون مثال الكمال لا مثال الفساد

انى ان قتلته وشربت من دمه ابتسم ابتسامة الظفر ، لا أبالى ان حاكنى القانون حكم على أن أفضى بقية حياتى سجيناً ذليلاً ، أو أصعد المشنقة لالاقى حتى

ولكن عند ما أفكر انى أصبحت أباً أصبحت والد ابنة ، والدفناتة لها عرض وشرف وسمعة ، وانى أنا والدها الهاتك للعروض ، المسقط للشرف الضارب بكل ذلك عرض الحائط ، الساخر بكل هذه السفاسف ، المتعامى عن

نعم ! أنت لا تعلمين أنقيل التضحية أم ترفض ؟ أيبرء زوجك أم يموت
ولكنك قدمت نفسك قبل أن تعرفي النتيجة ؟
ذلك ما كنت تفكرين فيه ساعتئذ أما أنا فلم أفكر الا في قضاء شهوتي
وهكذا يكون الظرف الدقيق سلم الفوز والنجاح ، فلولا حبه لى ولولا
اخلاصه لنيل بغيته ما استطاع أن ينتصر على في كلتا الحالتين ينتصر على ارادتي
القوية ، لقد توالى انتصاراته وأقبلت عليه الدنيا بعد أن ضحكت له مرة

شاهدت بعد ذلك زوجى جالساً ، ثم رأيتَه جالساً على مقعد في الحديقة
وإذا به يحدث نفسه أى

زوجتى ، جنيت عليك جناية كبيرة وسببت لى عذاباً أليماً . أعرضت عن
نصائحك وأغضيت عن أغراضك النبيلة فخنثت بقسمى وخالفت ضميرى . لم
أفعل ما أمرت ولم أنفذ ما وعدت به ، بل تماديت فى الغي والضلال واستمررت
فى الفساد فلذت الى الفساد وأصبح حبيداً لى ، فرضيت به وفضلته عليك فأخطأت
الاختيار

وعدتك ألا أقرب البغايا فصدقت فى وعدى ، ولكنى قربت الطاهرات
الشريفات العقيلات المصونات ، والعدارى من الفتيات ودنست طهارتهن
وقضيت على شرفهن

ولكنى كلما فكرت أنه كما يدين المرء يدان وكما يفعل بالناس يفعل به ، كلما
فكرت أنه سوف يأتى يوم يكون نصيبك فيه ، نصيب الفتيات اللائى أصحابهن
والعقيلات اللائى أخالهن ، كلما فكرت فى ذلك تثور نفسى ويفلى دى ، ولا
أستطيع أن أنصور صورة ذلك الوحش الضارى الذى سيهجم عليك فينتزع
طهرك ويسقطك فى الهوة العميقة

ان عمل كهذا اثم كبير ، بل مصاب جسيم ، وجرم عظيم يرتكبه الانسان
عند ما يوسوس له الشيطان ، فيتغلب عقله ويمتلك ارادته ويسيره فى يده

وأقصوه حقه . واذ به يقول بصوت جهورى
أؤكد أن شفاؤه ممكن وسأباشر العملية الجراحية بنفسى بمد أن ينقطع
الزيف
ثم رأيت الطبيب يدخل غرفتى فى اليوم الموعد ، ويترنح طرباً وسروراً
وإذا به يحدثنى حديث اتحار زوجى ويطلب منى أن أقدم له نفسى جزاء
انتقاد زوجى

ثم شاهدته فى اليوم المشعوم ، يوم أن سلب عفافى يدخل باب غرفتى وهو
يقدم قدماً ويؤخر أخرى ، وأظن أن الحمر التى شربها لتجرؤه على ارتكاب
الجريمة قد لعبت برأسه ، وإذا به يقف فى منتصف الغرفة ويشرح لى حبه
الكاذب فيقول :

لو تعلمين بأنمعبودتى قدر حبى لك وعدد الليالى التى سهرتها أناجيك فيها
فكنت اذا طلع القمر ساءلته عنك لو تعلمين ذلك لاشفتت على
لقد كان اليوم الذى أزور فيه صديقتى أحب الايام لى وكنت أود من
صميم الفؤاد زيارته كل يوم لالتمتع برؤيا شخصك المحبوب ولكن هى الاعمال
— قاتلها الله — كانت حجر عثرة فى سبيلى ، — وأنت ساحك الله — كم مرة لم
تقابلينى فيها ؟ وأظنك لاحظت انى بك مغرم ومحبك أتحرق فائرت عدم مقابلتى
لتخمدى نار حبي

ولكنى كنت أنتظر . نعم أنتظر يوماً ترمين فيه بين ذراعى وقابى يحدثنى
أن اليوم سوف يحل وهامى الآمال قد صدقت والاحلام قد تحققت وأصبحت لى
أنت تقولين ساعة واحدة ولكن هذه الساعة تمقبها ساعات وأيام
أجل لك زوج وما رضيت بمخالتي الا لتنجى زوجك فاشترت حياة
زوجك بعرضك ، وياله من ثمن باهظ
أعتقد أن الحب واخلاصك لزوجك هو الدافع لك أن تعملى هذا العمل .

وداعاً والى اللقاء فى جنات عدن

لا ! لا !

أظننا لا نتلاقى لانى سأكون ضيف جهنم أما أنت فضيف الجنات التى
تجرى من تحتها الانهار .
ثم رأيت مضرحة بدمه وسمعته يهتف باسمى عند ما أطلق الرصاص على
نفسه .

وشاهدت بعد ذلك ضحيجاً فى غرف النادى واذا بالجمع يتسابقون
ويتجادثون فيما بينهم ويقولون من الغائب منا ؟
وتراكضوا بعد ذلك صوب الغرفة الموصدة ، ولما دخلوها خلعوا اقبعاتهم
خاشعين عند ما شاهدوا الجثة
ثم أرى صديقى الطبيب يحضر ويسرع نحو الجثة واذا به يقول للجمع .
لم يمت بعد لانى أسمع دقات قلبه . هناك أمل ولكنه أمل ضعيف
ضعيف جداً

ثم شاهدته يحاول قطع الزيف هو والاطباء الذين دعاهم ، ولما انتهى من
عمله قال لهم :

— أظنون أنه يعيش ؟

فقال الجميع بصوت واحد

— لا نظن لان الزيف مستمر

— اذن قطعتم الامل من شفائه

— نعم الامل كله

وهنا ظهرت على وجه الطبيب ابتسامة الظفر ، ابتسامة من يجهد قريحته
ويكد ذهنه ملتمساً طريقاً يفوز به على زملائه الذين قطعوا الرجاء ، ثم رأيت
ابتسامة أخرى هى ابتسامة الانتصار على الاجانب الذين احتقروا المصرى

عن يمينه ويساره ، ثم رأيت وجهه مقطباً وعلامات الحزن مرآتية على جبينه
وذلك لتتابع خساراته

لقد تأمرت هذه الفئة على سلب أموال زوجي بطرق شريفة في نظرهم
وقد تكون كذلك في نظر الجميع . ولكنها في نظري طرق دنيئة فان لم
توافقني على رأيي فبالله حدثني ما الفرق بين اللص السارق الذي يسطو على
منزلك فيسلبك مالك وأثاثك أثناء غفلاتك وبين ذلكم اللابس لباس الاشراف
الذي يفتصب مالك بطرق شريفة . السارق يسرق . فيحاكمه القانون . أما
المقامر فلا يحاسبه القانون جزاء ماجنى من ربح . قد لا يسرق اللص بقدر
ما يفتصب المقامر ولكن هكذا قدر لكل منهما فالاول له السجن والعذاب
والاهانة . وللثاني الربح والغنى والتنعم بحريته

*
* *

ثم رأيت زوجي يغادر قاعة الميسر ويختلى بنفسه في غرفة من غرف
النادي ويقفل عليه الباب من الداخل ورأيتـه يسحب المسدس من جيبه
ويصوبه على صدره وكأني به قبل اطلاقه يحدث نفسه بصوت مرتفع قائلاً :
— آه يا زوجتي العزيزة ، لقد جنيت عليك ، لقد غدوت فقير لا أملك
شيئاً ، أما أنت فأصبحت معدمة لا تملكين الا النذر اليسير ، لقد سجلت
البؤس والفاقة على الجنين الذي تحملينه في أحشائك
أفبعد هذا تطيب لي الحياة ؟
لا ! لا !

في الموت خلاصى من هذه الورطة
نعم الموت هو المسكن لآلامي
لن أجن بل سأقتل نفسى
فالوداع يا زوجتى المسكيننة
وداعاً يا طفلى يا من حكم عليه لا يرى وجه أبيه

الماضى

قضى الامر وتقرر زواج شقيقة طفلى بالصديق المهندس ثانى الاصدقاء
المخلصين للمرحوم زوجى ، وقد قبل الزواج بها لانه يحبها ولانه مل المعيشة
التي يعيشها ، ولقد كان الحب هو الدافع له على هذا الزواج
كنت انا وطفلى العامل الأ كبر فى فوزه وهكذا نالت الصديقة أمنيتها
وأصبحت أنا خلية لطفلى وأن شئت فقل زوجة مؤقتة ، زوجة لا شرعية
لانه بعد مضى سنة اغدو زوجته الشرعية
أمهاتى طفلى اسبوع لاسدد كل دينى وأبيع أثاث منزلى
ولما أخذت على نفسى اتمام هذه الاعمال تركنى طفلى وذهب ليعد المعدات
لحياتنا المقبلة

*
* *

أخذت أفكر كيف استعد للمستقبل ؟ وكيف أمهد سبيله ؟ فرسمت
لذلك عدة برامج لم يعجبني احد منها
ولما تعبت من التفكير وشعرت بحاجتى للراحة لاسيما وقد أخذ الكرى
بمعاقد أجناتى

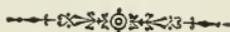
ذهبت لفراشى لأستريح . وفي نومى رأيت رؤيا ، رأيت ماضى متمثل
أمامى بأجلى صورة . رأيت زوجى نائر النفس من جراء المحادثة المهينة ثم
رأيته جالسة قبالة منضدة الميسر ورسل جمعية لصوص الاجانب ملتفة حوله

أردك حياة الشرف ان شئت . اما ابنك فساء كفل تربيته وأضمن له مستقبلا
ان شاء الله يكون باهرا ما دمت على قيد الحياة فان استمعت لنصحي ،
وقبلت مشورتي أرتضيت بخادمي زوجا لك ، وهو سيحكمك سر ، وتكونين
سعيدة معه ،

— كيف لا أقبل يا مولاتي وكيف أنسى معروفك سأكون له عند
رأيتك وما دام زوجي بخادمك يسرك ، فساء كون له زوجا وسأجتهد ألا
أخالفك في أمر مهما كان .

وهكذا أثرت عليها الاثر اللازم

ويسرنى ان أصرح ، انى شعرت بارتياح لاني تمكنت من انتشال فتاة من
حياة العهر لحياة الشرف



ذلك السيد الخائن الا أن تداركتني سيدتي بعنايتها

هذه هي قصتي وفي الوقت ذاته ، قصة كثيرات من خدم القصور وقصة
بأنسات ممن غرهن جمال العيش والزخرف .

الآن وقد سمعت ياسيدتي سبب نكبتى . أتظنين ان سيدى الطبيب
سيعترف بآبنا ؟ أتظنى انه سيقبلنى بعد ذلك فى قصره ؟

فقلت وأنا افكر

لا لن يفعل .

ثم تابعت حديثها وقات :

أيها البائسة ، ان ما نالك جزاء وفاقا ، ان ما أصابك عدل ، فلو كنت
عفيفة لكان لك مستقبل ، أجل ستكونين فقيره ، ولكن فقيرة شريفة .
لقد جاريت نفسك الامارة بالسوء واستمعت لكلماته العذبة واضربت
صفحا عن نداء ضميرك ، لقد سلمت له نفسك طائعة مختارة لانه خدعك
بمحدثه -- والحق يقال -- وهو مشهور برقيق عباراته ولقد خدعت قبلك
فلا بأس عليك .

نعم هناك تباين بين ظرفى وظرفك . أنت سلمت نفسك استبقاء للقمة
تأكلينها وعيشا تظنين أنه سيدوم لك ولكنى سلمت نفسى استبقاء لحياة
زوجى . فشتان بين سنيعى وصنيعتك . كان جزاء زلتى عيش العهر ردحا ،
ولكن ذلك لن يكون جزاءك -- ان سمعت نصحى --

نعم قد يلتمس لك بعض عذر وقد تكون ضعف ارادتك من أسباب
سقتك وعلى كل حال انت ضعيفة بجانب السيد الطبيب بل ضعيفة جدا بجانب
مولاك الذى تحببه بعض الحب

سرت فى طريق مهده غيرك من قبل من خدم ، من روجال ، من
آنسات .

ولكن هناك رب رؤوف رحيم ، هناك عفوا ومغفرة ، باستطاعتى ان

فقصدت غرفتي وطرقت الباب ولما أعيأها الطرق فتحت الباب ونادتني باسمي وطبعاً لم ألب النداء . فركضت نحو غرفة زوجها لتدعوه لمساعدتها ، فرأت على ضوء القمر اني نائمة في سريره ، وعند ما شاهدت هذا المنظر صرخت صرخة هلع لها فؤادي وانزعج هو الآخر لها
قت من نومي المشثوم ، خائفة وجلة واذا بي أرى سيدتي مرتمية على الارض فاقدة الرشد .

أسرعت فحملتها ووضعتها في فراشها ثم عدت لسيدي أسأله رأيه في هذا الحادث فكشتر في وجهي وأعرض عني ، فغضبت هذه المرة وعددته ندلاً . وذهبت للعناية بسيدتي حتى استفاقت من أغماها وطبعاً ساعدني في ذلك سيدى الطبيب

وبعد ان أتممت مهمتي ، تواريت عنها لئلا أزيد ألمها ، ولكنها بعد ان تمالكت شعورها طلبتني في حجرتها وقالت لي :

— ماذا كنت تصنعين في غرفة زوجي وعلى سريره

آه ياسيدتي إنني أطلب منك الصفح ، لقد أغراني سيدى وأنا خيالة منذ تسعة شهور ، وهو والد الجنين الذى أحشائي
ويظهر ان سيدى كان قادماً فسمع اعترافى ، فانهرنى وشتمني وأمر الخدم بطردى خارج القصر

طردت على اشنع صورة . حتى ان سيدتي لم تتمكن من النفوه بكلمة لان اعترافى الخجل صمقها مكانها وبذلك نال سيدى مأربه ولم يجد له معارض فطرذني رجاء أن تغفر له زوجته ذنبه ولكن هيئات فلان تغفر له هذه الفتاة المسكينة لانى اعرفها فتاة طيبة القلب وديمة ولكنها في الوقت نفسه لا تحبه مادام قد خانها ولذا ارجح انها ستلزم صرح والديها

سرت في طريقى وكنت أبكى اثناء سيرى ولما أعيأنى السير وأنذرنى المخاض جلست في الطريق وضرت أندب سوء حظى ، واستنزل اللعنات على

— هذا ما كان ولكنى لم أظن يوماً ان مصيرى سيكون كذلك

— ألا تأملين ان الجزاء من جنس العمل ؟

— هذا حق ، ولقد انبنى ضميرى ولكنى لم استمع له .

— حسناً . تممى قصتك

— ولم يمض على زواجنا الا شرعى أكثر من شهور ثلاثة حتى شعرت

اننى أجمل جنيناً فى أحشائى ، فقصصت له القصة فذعر وخاف فاعطانى دواء

مجهضها ، ولكنى ابيت أن أتجرعه لانى خفت عاقبة الاجهاض . وحو الى

منتصف الشهر السابع تمارضت وساعدنى هو على المرض وذلك خوف ان تشبه

سيدتى فى امرى ولكنها اشتبهت وفهمت الحيلة فذهبت الى أن احدهم قد

اغرائى ، لم تفكر هى لحظة ان زوجها هو الجانى على

مسكينة هي . ألم تسأل زوجها فى هذا الصدد .

— لا لم تسأله .

— وكيف كان موقفه ؟

— لقد كان موقفه غريباً . تجاهلنى وأراد طردى ولكنها صرت على

استمرارى فى منزلها واستصدرت لذلك أمر من والديها بذلك ، ثم شرعت

تبحث عن النذل الدنيء الذى اسقطنى ولكنى لازمت الصمت مراعاة لشرف

سيدى . .

— مسكينة أنت . وهو ما ذا صنع

بعد ذلك صالحنى سيدى مرة أخرى وكنت اجده فى هذا الصلح رجاء

أن امهد مستقبل طفلى .

وذات ليلة أمرنى سيدى ان اقضى ليلتى عنده ، وحدث هذه الليلة

ان سيدتى كانت متوعدة المزاج وأنها احتاجتنى لمساعدتها ليلا فى اشغال

نار الموقد

خرجت من غرفتها فصرخت تدعونى ولكنى لم أسمع لانى كنت نائمة

انتظاره تبادل بعض الحديث معه ، ويظهر انه خبيث لانه بعد حين راودني

عن نفسي . فاييت

— أنستظمين أن تخبريني عن اسم ذلك الطبيب ؟

— آه لقد نسيت هو يدعي الدكتور حسني

— أهو الدكتور حسني

— نعم هو أتعرفه مولاتي

— آه يارباه هو دائما

— ما بال سيدتي أ كان لها مع الطبيب حادثة .

— لا شيء ! لا شيء ! تسمى حديثك ! تسمى حديثك !

— أصر سيدى على طلبه وأفهمنى انه يجب تنفيذ رغبته في

القريب العاجل .

و ذات يوم عزمت سيدتي زيارة والديها وقد اعتدت ان اصحبها في

هذه الزيارة ولكن سيدى أمرنى ان اتمارض فتمارضت — لانى اعترف انه

فتننى — وفي هذا اليوم المشؤوم فتك زوج سيدتي بى فخدش بذلك عرضى

وأنا مسامة له كل التسليم لا أقوى على المقاومة ، لانى ان قاومت نلت العذاب

الاليم ، فلا اقل من ان اطرد ذليلة مهانة وانا الذى لا نصير لى فى العالم —

لان والدى توفى —

إن اغلبنا معشر الخدم كذلك تسلب أسيادنا عفافنا ونرضخ لهم خوفا من

الطرد . والخدم تطاوع أسيادها فى كل ما تأمر ما دام امرها لا يفتضح ،

تسلم لسيدها عرضها رجاء كسرة خبز تأكلها فى قصره ، لانها تظن — وحتى

الساعة أظن — انها ان رزقت زوجا فلن يسهدها هذا الزوج فى حياتها ، ولذلك

نفضل ان نصبح محظيات لا ولياء نعمتنا واعرف كثيرات فعلن فعلتى ولذا لم

احجم أن اسلك هذا السبيل

— فضلت عيش العهر وانت منعمة على عيش الشرف معذبة ؟

شفوقة . ولم أشأ منذ أول يوم . اكتشف سرّك لا ترك لك حرية الافضاء به
أخشي أن يطول العهد ، إن تصرّحي فيأبى الوالد الاعتراف بابنه
اكرر لك انى سأبذل جهدى لاقتناعه بالاعتراف به
- أتثقين أن سيدى سيعترف بابنه ؟
- ذلك أملى

- شكرك يا سيدتى واجب علىّ ومعروفك لا أنساه أبد الدهر . وأرى
أنه يجب على أن أصرّح لك بكل شيء .
انى يا سيدتى خادم فقيرة وضعنى والدى المحتاج فى أحد قصور الاغنياء
بعد أن تعاملت قليلا .

لازمت فى قصر الغنى فتاة القصر التى كانت تكبرنى بسنتين . فكنت تابعة
لها أتقل وقت تنقاهما . وأضحك ان ضحكت ، وأحاول تسليتها ان اكتأبت .
ومشاركتها البكاء ان بكت
لقد كانت سيدتى بارة بى فاحبتنى من صميم قلبها وأحبيبتهما أنا بدورى
لانى وجدتها تعطف على .

ان ملازمة سيدتى . ونمط معيشتى معها أفقدنى كل ارادة . فاصبحت
مسيرة لا رأى لى فى أمر . يستطيع الطفل الصغير أن يقودنى حسبما يهوى .
ويسيرنى كيفما يشاء

ولما أن أوان زواج سيدتى . خطبت لرجل فى مقتبل العمر خطبت لنطاسى
ماهر . وسمعنا بعد الخطبة كثير من الاحاديث حوله . ولكن لا فائدة فقد
« سبق السيف العذل »

انتقلت مع سيدتى لبيتها الجديد ، ولا زمتها كما كنت ألزمها وهى
فتاة .

تمود سيدى أن يتأخر ليلا ، وكلفتنى سيدتى ان انتظره ، ونتج من

أعلم حقيقة أمرها فالأتركها قليلا وبعد ذلك أسألها عن السافل الذي أسقطها
انقضى الاسبوع الاول بعد ولادتها وذات صباح دخلت عليها في غرفتها
التي أعدتها لها . فوجدتها تحمل طفلها بين يديها وتقبله حر التقبيل .
فقلت لها :

— أسعدت صباحا . أظنك تخشين أن أطردك فتصبحين تحت رحمة القدر
كما فعل بك مولاك . لا تخافي يا عزيزتي فاني سأعتني بابنك أيسرك ذلك .
— شكرا يا سيدتي لن أستطيع أن أف معروفك قدره يوماً ما لكن
بالله حدثيني من حدثك أن مولاي طردني
— لم يحدثني أحد ولا كنى أتنبأ بذلك فان أطلعتيني على شرك قد أستطيع
مساعدتك .

— وماذا تطلب سيدتي ؟

— أريد أن أعرف لمن ينتسب الطفل ؟

استولى على الخادم علامات الارتباك المخي الشديد وحاولت أن تفصح
ولكنها أخفقت فاستدرجتها الحديث وقلت :

— اسمعي أن ذلتك كمثل السقطات النسوية وكثيرات هن اللاتي عملن
عملك . وأظن أن الدافع لك على ذلك الاماني والوعود الجميلة .

لقد استطاع مولاك الرجل أن يكتسب من ضعفك قوة على قوته . ومن
ضعة مركزك سيطرة

أطلب منك أن تقولي من والد هذا الطفل . وهل باستطاعتي أن نضطر
الوالد أن ينسب له الطفل . ان كان ذلك ممكن فقد انتهى كل شيء ؟

سوف أساعدك في هذا السبيل بكل جهدي وسوف أبذل مكانتي في تميم
أمنيته وبالمال لا أبخل عليك

أعرف أنك تهجلين أن تصرحي . ولكن لتعلمي اني لست غضوبة بل

شبهات لهن في الداء لا بل أساتداتهن - بواسطة قليلات من صاحبات
الفاسدات من بنات الاغنياء . يستطعن أن يغررن أمهاتهن - وهن غالباً بسيطات
ومربياتهن الافرنجيات اللائى لا يهمن فسدن أو لم يفسدن . هذا ان لم يكن
هن الزارات لهن الفساد منذ الصغر .

كل المربيات الافرنجيات من الطبقات الدنيا . من الاسر الوضيعة الخسيسة
لا بل من عامة الشعب أو من القروبات الساذجات
لا يعرفن الا لغتهن - ولقد تعلمن ذلك بحكم التعليم الاجبارى في وطنهن -
وقليل نأفه من التريبة تلقينه قبل مغادرة ديارهن .

ولسكل مربية أفرنجية خليل - على الاقل - وهو في الغالب مصرى .
ومما يضحك الشكى أنه قد يوجد بينهم عدد من شبابنا المتعلم . وقد يكون
للمربية الواحدة أكثر من خليل فيتنافس كل في تقديم الحلى وبذل الدرهم .
ويقتضى عنايتها بخلائها ائمال من تعتنى بتربيتها ،
ولما كان كل المربيات كذلك . نشأ من ذلك أن الفتاة الصغيرة تصادق
الفتى الصغير وهكذا تنمو المودة بينهما ويصبحان عشيقين يتبادلان التلاقي
عصر كل يوم .

*
* *

بعد اللتيا والتي استطعت أن أنقل الفتاة لقصرى حيث أستطيع أن أهد
لها الراحة .

لاحظت أن الفتاة حزينة جد الحزن . تنأوه من كبد حرى . فتحققت
أنها قد خدعت وأن الجنين الذى تحمله فى أحشائها لن يعرف له والد .
حاولت قبل الوضع أن اكتشف سبب قرحتها لكنى أخفقت فتركتها
وقلت فى نفسى :

صبرا . فسوف أعرف بعد قليل ما أجهد نفسى اليوم فى معرفته . سوف

ضعيفا ينتشر في الفضاء . تكرر الصراخ وصرت أسمع به بصوت جلي وعن بعد رأيت جمعا يحتشد

وجدت دافعا يدفعني لان أعلم سبب هذا الصراخ وعلّة تجمع الناس ، فسددت خطواتي نحو الجمع فاذا بي أرى بينه فتاة باكية واذا برجل الشرطة يهرول ، وبصوته المزعج يصيح ليجد له مكانا لضبط الواقعة ، ومن الغريب أنك ترى رجل الشرطة يكثر من الجيئة مثل هذا اليوم بينما هو في الايام الاخرى منزويا لا يعثر عليه الا انسان

احتشدت بين الجمع فسمعت تفاقضا في الحديث وتباينا في القول ، حرضني ان أفتحم اللجة وأشق السياج الآدمي لاكتشف حقيقة حال الفتاة المنكودة الحظ ، وبعد الجهد الشديد وتكرار الدفع للامام والتقهقر للخلف استطعت أن أكون قريبة من المسكينة . فاذا فتاة بدينة عليها مسحة من جمال

بعد ان ألقيت نظرة على البائسة ، استطعت أن أعلم أن المسكينة حامل وهي على وشك الوضع وتنبأت أنها لا بد أن تكون خادم وأن يكون سيدها هو الجاني عليها وهو طاردها من قصره

وجدت أن الواجب يدفعني أن أمد يد المساعدة لهذه المسكينة والانسانية من جهة أخرى تفرض علي ذلك ، هذا ان طرحت العاطفة النسوية جانبا

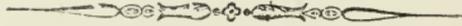
لم اكن السيدة الوحيدة وسط هذا الجمع ، لكنني كنت المصرية الوحيدة أجل هناك كثيرات من المصريات يقصدن هذه الجهات ، ولكنهن يستترن دائما داخل عرباتهن وسياراتهن ، ولا ييمن جمع حاشد كهذا الجمع حتى ولو نعى اليهن أن المجنى عليه عزيز عليهن ، لانهن يخشين عدول يفضح أمرهن ويضع حدا لتسترهن وتزههن المتتابع ، تحت ستار الفس والخذاع ، تحت ستار النفاق اعتمدن فتيات الاسر الكبيرة خدع أمهاتهن - ان لم يكن هن الاخريات

الطريدة

خرجت يوم الاحد وحيدة وفضلت السير على الاقدام لا كون ناظرة
على المتزهين
كان الوقت أصيل وقد أخذت ذكاء تختفي وراء الافق ، وبدأ البدر ينشر
نوره اللامع على الارض المجلبة بالسواد
طفقت ربات الجمال وبنات الحسن ، وفتيان الطرف وشبان الكياسة ،
تنتشر في أحياء الجزيرة تبحث عن طريدة ، فالفتاة فنقب عن فتى يقطع الوقت
معها ، والفتى يبحث عن فتاة تسرى عنه بعض همه
لا ترى أصيل كل أحد في منزهات الجزيرة الا شابا ظريفا لطيفا يغازل
فتاة فتانة رشيقة ، وحبيب يحلف لحبيته باكبر الايمان ، انه بهما مغرم ،
وبوصالها ينال السعادة
تشاهد فيها ساقا على ساق ، وعينا تتلفت وتبحث تخشى رقيباً يفاجئها فيعكر
هناءها وصفوها ، تشاهد نحرا على نحر ، ويذا على خصر ، تشاهد سرىا عجوزا
يميل على فانية فتانة فيغتصب منها القبله اغتصابا ، وينقدها بديلا عنها ، اصفر
رنان جزاء وفاقا
تلك حالة كثيرات منا ، وتلك حالتى منذ أيام قليلة ، وذلك درس مؤلم
وذكري سيئة تقلب أممي صحف الماضى السوداء
خرجت لأسرى بعض همى فإلذلك اتخيت مكاناً قصيا ، وجالست على بساط
العشب الاخضر وأخذت أفكر في ماضى ومستقبلى . واذا بعد قليل : أسمع صراخا

جهدى فى مرضانك وتهيئة السعادة لنسلنا ان قدر الله لنا نسلا . هذا ان
تحققت الاحلام وصدقتم الامال . سبب حياة الانسان
ولست حياة المرء الا امانيا فان هي ضاعت فالحياة على الاثر
ودمت لحبيبتك ما

(خالدة)



وبعد أن ذلل الارض وتغلب على البحر تحول للهواء لخلل طبقاته ثم صنع الطيارات والسفن الهوائية والمنطادات فشارك بذلك الطير في عشه ، بعد أن شارك السمك في محيطه ، والحيوان في حرجه . وهكذا علم الانسان ما لم يعلم . واكتشف نأى الاصقاع ، ولكنه عجز عن اكتشاف ما يأتي به الغد ، عجز عن قرع هذا الباب لان أمره بيد الله ، والله لا يطلع على علمه أحدا . ذلك هو الغد الذى أخافه يا طفلى فأخاف أن يفجعنى فى آمالى الكبيرة . وانما أعلل نفسى بالامال

لم أمر قدر سرورك ، ولم أبتهج ابتهاجك ، بل استبشرت لكن بشرى الحزينة التى تومض فى حياتها المملوءة بالاشجان والاحزان ومضة أمل لا يلبث أن يعقبه ظلام يأس



لا تتفائل كثيرا بل تطير فان أنى الخير فنعمما به وان أنى الشر فقد أعددت له عذبه

كنت نظيرتك كثيرة التفاؤل ، فلما هجمت على الاحزان بخيلها ورجلها غدوت حزينة فلما سررت وندر ما ابتهجت ، ولقد اعتدت الحزن حتى سميت بالعضوبة وهم اسم طابق سميته

على أن أشكر والدك لتفضله بذلك الخطاب الذى أحيأ ميت الأمل فى نفسى ، لكن تجدنى أعجز أن أظهر له عظيم شكرى وكبير امتنانى - طبعا يتحفظ - فاشكره عنى قدر ما تستطيع ويزيد ، نقب عن كل كلمة تعبر عن الشكر فى قاموس لغتنا الشريفة واشكره بها . فان فعلت لم تقم الا ببعض الواجب فالاولى أن تظهر عجزك عن ايفائه حقه من الشكر ، واظهار العجز فى هذا الصدد اعتراف صريح بقدر الجميل وعظمته

حدثه انى سأكون عند ظنه بي . سأكون لك زوجة بارعة مخلصه . سأبذل

قد يكون ملاكاً طاهراً كريماً ، يسبغ علينا السعادة ، ويهبنا حياة طيبة
لذيذة يتخلها سرور وانسراح في كنف أطفال بررة كرام يسببون لنا بهجة
وفرحة .

قد يكون الغد سحابة قائمة ممطرة محملة بالخير ، ولكن لا يلبث أن يهب
عليها ريح بارد فيجمل أجزاءها ويسقط مائها فتصبح هي والعدم سواء
قد يكون الغد ريح صرصر عاتية تهلك الزرع والضرع وتهدم القصور
والصروح

الغد شبح مجهول لا يعرفه أحد مهما عظم قدره ولا يقدر مخلوق
أن يكشف حقيقته

ينظر الغد لآمالنا وآمانينا ، نظرة الساخر ويتسم ابتسامة المزدري
لقد ذل الانسان كل صعب ، ومهد كل عسير ، فاكشف نأى الاصقاع
وتوغل في الغابات الكشيفة الخيفة فاصطاد آسأداها وقوض عرشها ثم بطش
بنموورها الفاتكة وسلبها ثمين فرائها

ثم زرع الارض فأخرج منها الحب أشكالاً ، ومن النبات أنواعاً ، ومن
القواكه أجناساً ، ومن الزهر خليطاً من ألوان وأجناس

ثم نقب في باطن الارض فاستخرج حُمها وحديدها اللذين استعملهما في
مختلف الصناعات ومتباين الاغراض ، ثم اكتشف ابريزها فصك منه نقوداً
واستعمله حلياً ، ثم عثر على ماسها وياقوتها وزمردها واستعمله في مختلف
اغراضه وأخيراربط بحديدها ونحاسها مختلف البلدان وبعيد الاقطار ، فهبأ
سبل الراحة وقرب نأى الامصار .

ثم تحول للبحر فصنع من خشب الغاب قوارب صغيرة تسير فيه « باسم
الله مرسيها ومجريها » وما لبثت هذه القوارب قليلاً حتى صارت سفناً تجارية
كبيرة تغلبت على أمواج البحر المرغية المذبذبة واكتشفت مجهول أصقاعه ،
ومتجمد شواطئه ، ثم غاص في البحر فاستخرج لآله الثمينة ، وكنوزه القيمة .

سقوطي ، وسبب تعاستي

يحق لي أنا التي لم أر يوماً في حياتي يسرنى ، ان أصم الرجل كذلك لأن
الرجل سبب كل الشقاء الذي أنحمله

كان والدي رحمه الله باديء هذا الشقاء ، لأنني بعد ان كبرت ، شرع
بهييء سبيل سعادتي ، فهيأ بدنن نار عذابي ، ظننا منه أن ذلك هو عين السعادة
بل هو الغبطة ، وهو السرور ، ظننا منه أنه ان نفذ رأيه حق على شكره للابد
ولكن سهمه طاش ، وأمنيته خابت ، وآماله ضاعت ، لانه أساء الاختيار بدل
أن يحسنه وزوجني برجل أقل ما يوصف به أنه لا يحسب للمال حساباً

كان زوجي رحمه الله متمم هذا العذاب ، لأن سذاجته وطيبته سببت فقرنا
وموته وتضحية نفسي . فصفاته السالفة لا توافق هذا العالم المملوء بالشرور ،
العالم الذي سداه ولحمته الخداع ، والغش ، والنفاق

وما هي الا عشية أو ضحاها ، حتى غدونا مفلسين وغدا زوجي لا حياً
يرجى ، ولا ميتاً ينمى ، بعد ان وقعت الفاجعة وبعد ان خدش الشرف ،
وأهينت الكرامة ، فالرجل اذاً سبب زلتي

احترفت مهنتي الجديدة وكان المعضد لي على احترافها الرجل ، والمقابل
لي بصدر رحب الرجل والواضع حدا لهذا العيش المنكود الرجل
فله ما أغرب تصارييف الاقدار ، يكون الرجل سبب حياتي ثم يهدو
سبب شقائي ، ثم يمسي سبب سعادتي

✱
✱

تتفاعل بالغد يا حبيبي وتسره له وتبهج ، والغد شبح مظلم ما نلا أمامى لا أتبين
منه ذلك الامل السرى والسعادة السرمدية (١)
أندري ما يأتي به الغد

شبح الغد

رددت على بشرى طفلى بالكلمات التالية

الجزيرة في ١٨ سبتمبر

طفلى المحبوب

زفقت لى بشرى عظيمة ، وحمل الى كتابك نبأ مبهجاً ، مزيلاً اللهم، مضيئاً
للأشجان . عفوا . بل حمل لى البريد نبأين ، أو لهما عدول والدنا البار عن
رأيه فى زواج شقيقتك ، الصديقة الكريمة . أما الثانى فوافقته على زواجنا ،
وتعليق هذا الزواج بعد زواج الصديقة التى لها الفضل الاكبر فى اتمام هذه
المهنة . فان كلفتك باسدائها خالص الشكر وجزيل الحمد . لما قامت به من عمل
جليل ، أكون قد كلفت الجدير بالتعبير عما أشعر ، ووثقت حسن تعبيره ،
لأنه يشعر شعورى ، ويشاركني هنائى

ولو لم أكن من المطايرات المتشائمات من المتفائلات بالشر قبل الخير ،
لا متلائت نشوة ، وابتهجت فرحاً لأن نبأ عظيم كهذا ، نبأ يضع حداً للمعيشتى
التي تجر عنى كؤوس البؤس والشقاء ، نبأ ان لم يقض عليها فى الحال ، فسيقض
عليها بعد حين ، نبأ ينشأنى من حيات دفعت اليها حقداً ، دفعت اليها
ظلماً وعدواناً ، يبتهج ويفرح

حقدت على بن آدم ، واتهمته بأفطع التهم ، ووصمته بأشنع الوصمات ،
وخسصت من ابن آدم معشر ، الرجال سبب محنتى ، سبب بؤسى ، سبب

لا زلت أيها الوالد الكريم خير عضد ونصير
وفي انتظار رأيك الاخير
وتنازل بقبو عظيم احترام ابنتك التائبة م

ابنتك
خالدة

ملاحظة : لن أطلع عزيزي (طفلي) على كتابك

*
* *

— حسنا يا والدي وما هو قرارك الاخير

— قررت يا بني ان أبارك حبكما واليك كتابي الذي اعلنها فيه برضائي
قرأت في الكتاب ما يلي :
الخدمية في ١٤ سبتمبر ...

ابنتي

سررت لقبولك شروطي ، وذلك ما كنت انتظره منك ، ولذا فأني ابارك
حبكما ، وأوافق على ا زواجكما وأدعو لكما بدوام الهناء ، وأطلب من الله ان
يمد في اجلي حتى أراكما زوجين

وختاما اهديك تحياتي الابوية م
والدك
أصم

هذه يا حبيبتي هي البشري التي أرفها لك بقلب مبهيج ، وفؤاد ، ونفس
راضية قانعة

وأمل ان تشعرى شعورى وتبهجى ابتهاجي ، ولولا مرض خفيف طرأ
على والدي لحملت أنا لك البشري
ودمت لحبيبك م

حبيبك
حكمت

كان قبلت شروطى ، أعدك انى اقبلك زوجا لابني ، وان كان لك شروطا
فاشترطها .
والدك
وتقبلى تحياتى ما
اصم

ملاحظة : أرجوك الا تطلعى ابني عن المراسلة التى جرت بيننا ما

*
*
*

ولما انتهيت من تلاوة الكتاب قلت له :

— شروطك شديدة يا ابتي وأخشى أن ترفضها

— لا يا بنى لند قبلتها مبتهجة وهالك خطابها .

فقرأت فى خطابك ما يلى . —

الجزيرة فى ٣١ يولييه —

سيدي الوالد المحترم

أسمح لامرأة فقدت كل نصير لها فى الحياة ، ان تناديك بالاسم الذى

كانت تنادى به والدها

لا غرو ، فلقد تفضلت فأظهرت نحوى عطف الاب البار ، الذى يجب

ابنته شديد الحب

عظفت على وراثت لخالى ، فشاركتنى مصابى ، ولم تقف عند هذا الحد

فحسب بل تماديت فآظهرت كرما ورحما عند ما سمحت لى أن اتحدى فى حب

وحيدك . حبيبى العزيز

أما شروطك فأنا لها قابلة ومنفذة . وسكنى الريف احب الى من عيشة

الحضر . مادامت ابنتى أرهاها بعنايتى

أما قطع علاقائى مع من تظاهر بحبهم . وأنا فى الحقيقة لهم كارهة . فذلك

ما أنشده من زمن فان نلته فى المستقبل . عددت نفسى سعيدة

وفى الختام أعجز أن أقدر شكرى وعظيم امتناني لم تسديه لى

والد أن يعمله مراعاة لسمعة أسرتنا التي لم يחדش شرفها حتى الان
لم استطع بعد هذه التقدمة أن أقول شيئا . بل قرأت الخطاب :
ابنتي .

يهديك أب عجوز سلامه ويرفع لك تحياته وبعد .
أطلمتني ابنتي على خطاب ابني لك ، ثم ردك عليه . وقبل ذلك حدثني
عن أسرتك وكنت لخالك الكريم صديق صميم وبتاريخ نكبتك عليم ،
ولكنني كنت جاهلا ما آل اليك امرك ، بعد ما اتخذته معك الطبيب من
النذالة ، والماجرة بالظرف الدقيق الذي كنت فيه ، لقد أغواك لينال أمنيته
الدينئة ، وبعد أن فاز بمطلبه حملك على خوض لجة العهر ، فمهد لك السبيل ،
وساعدك على اجتيازه .

وحدثني الثقة الذين أثق بمحدثهم ، كيف التزمت جادة الصواب فمادكت
بحكمة في حرفتك الجديدة ، فدل ذلك على نبل أصلك ، وشرف سجاياك ،
لما أرجأت زواجك بعد زواج ابنتي

لا أستطيع البت في هذا الزواج ، الا بعد أن أسألك بعض أسئلة ،
وأطلب منك بعض مطالب فان أجبتها ، قد أستطيع ان ابدى رأى في هذا
الزواج واعتقد اننا سننفق -- ان شاء الله --

أما طلباتي فاليك نصها ولتعملى انى راعيت فيها مستقبل ذريتك ثم
مستقبل ابنتك .

١ — لا يتم زواجك الا بعد زواج ابنتي بسنة ، تمضي هذه السنة
معتزلة كل الناس .

٢ — تقطعين علاقاتك مع من نعرفيهم من الرجال

٣ — ولا تتحقق من تنفيذ الشرطين السالفين تسكنين الريف لتبعدى

عن فساد المدن

٤ — تتربى ابنتك في احضانك

أنه كهل فهو ذازوجة واولاد وما سمع والدى حقيقة امره حتى رفض طلبه
باباء وشمم ، ولذلك مهدت نصف طريق زواج شقيقتى . ثم اخذت احدته
عن المهندس الذى حادثك شقيقتى انها به مغرمة فوجدت منه اصغاه لحديثي
واهناما بشأن الزوج الجديد

ثم والدى من المحافظين فى بعض آرائه الا انه يتمشى مع الاحرار فى
الآراء التى تستطاع البرهنة له على صحتها وفساد ما يعتقد ، وتلك على ما اعتقد
خلة حميدة

وكان عملى السالف مغريا لشقيقتى ان تسمي بجد فى تمهيد سبيل زواجنا
ولذلك بدأت باطلاع والدى شيئا فشيئا على المهمة التى نتعاون كلينا فى العمل لها
تمكنت شقيقتى بفضل نفوذها العظيم . ومركزها الكبير عند والدى
أن تنال رضائه مبدئيا . وانتظار اعلان قبوله بعد البحث والتحرى
ابتدأت شقيقتى بقص مأسائك عليه ومن الغريب انه كان بها عالم ،
وخلالك الكريم صديق حميم

ثم استدرجت معه فى الحديث حتى اخبرته بحجى لك فأرغى وازيد —
كما هى العادة أولا — ولكن لما حدثته بما تعلمه من سجايك واطلمته على صورة
خطابى وردك عليه ، حلت فى قلبه مكانا كبيرا ، فشكر لك صنعك ووعده
أشقيقتى بالسعى فى هذا الامر وسيبدأ عمله بالكتابة اليك ليستعلم منك عن
أمور يريد التحقق منها واطنه طلب كتمان المراسلة التى تدور بينكما لامر أجهله
ويظهر انك قبلت طلبه وذات يوم قال لى بحضور شقيقتى

اسمع يا بنى . لقد حدثتنى . أختك عن سرى الذى تحفيه عني . ولقد
استطعت من الايحات العدة التى بحثتها سواء بمعاونة شقيقتك أو بالكتابة
للسيدة التى تحبها ، أن اقف على ما أردت الوقوف عليه ولذلك أحب أن
طلعتك على كل ما عملته من غير علمك . فاليك أولا الكتاب الذى أرسلته لها
قد تقول ان هذا الكتاب شديدا ولكن أعلم أن ما عملته واجب على كل

البشرى

الحمد لله لقد تلقيت اليوم خطابا من طفلى ينبئنى ان مسألة زواج شقيقته قد انتهت وانه وانه قد تم الاتفاق يرضاء والده (الذى كاتبنى مرة يستفهم فيها عن بعض امور لابد منها) على مسألة زواجى واليك خطابه
المخادمية فى ١٥ ١٥ سبتمبر ٠٠٠٠

حببتى

اليوم اهم بالكتابة اليك حاملا بشرى موافقة والدى على زواجنا منذ ان كتبت فى خطابك الاول وقلت :

(ترو فى امرك وتدبر ولا تمص اولياءك ولا تتشدد معهم بل كالمهم بالتى هي احسن ، وليكن شعارك حسن السياسة) ثم قات فى موضع آخر :
« ولتعلم ان رضاء والدك عن زواجى بك شرك اسامى »

اتخذت ذلك لى شعارالى فى اعمالى ، ولذلك شرعت فى تنفيذها بكل الوسائل الممكنة وبالطرق السلمية المشروعة ، فاخذت امهد طريق رضاءوالدى فابتدأت باحتراف المحاماة والتشمير عن ساعد الجبد فى هذه المهنة ، وكانت شقيقتي اثناء ذلك تساعدنى على مهمتى الشاقة من ناحيتها لاساعدها انا الآخر على رفض الزوج الكهل الذى تأباه وتحشى ان يسبب لها التعاسة

استطعت بفضل نفوذى ومعاونة الاصدقاء المخلصين ، البرهنة لوالدى الكريم ، ان من اختاره زوجا لابنته قد انخدع فى اختياره ، لانه فضلا عن

— نعم لدى وصيفتي
— أظن الوصيفة لا تستطيع القيام بهذا العمل وحدها، فهل يتكرم السيد
بقبول ملاحظتها قليل من الساعات
— بكل سرور أقبلها
— شكرا لكنها منه كبرى تسديها الى
— هذا قليل من الواجب على
اعترض الطبيب الحديث وقال :

— تفضل بملاحظتها ساعتين ، فان لم بماودها الاغماء فلا يعاودها بعد
وان زادت الملاحظة لثلاث ساعات كان أوقع . ذلك واجبك ايها السيد ، اما
السيدة المريضة فعليها ان تطرد الافكار التي سببت نوبتها فان تكرم حصره
الزائر بتخفيف وتبديد هذه الافكار لوقت قصير — على الاقل — فقد أتم جميله
وبعد ذلك خرج الطبيب مشيعا بالتجلة والاحترام
فتح الطبيب الباب لتدخل زائري في اسباب زعلي وحزني، وما علم السبب
جتي قدم لي المبلغ كله كقرض ، ولكنني حتى اللحظة لم اف له هذا القرض
لانه أبى ذلك ، وطبعاً تبع ذلك تردده على ولكنني اعلمت طفلي بمسأله ، فلم
ير بأساً في تردده ما دام هو غائباً على شريطة ألا يكثر هذا التردد
وسرت على رأيه فلم أسبب غضبه



— انى أرى أن سبب هذه النوبة شدة زعلك أليس كذلك ؟
— نعم يا سيدى الطبيب وسأجتهد ان أمنع الزعل ولا يفوتني ان أشكرك
على الإيادى البيضاء التى أسديتها لى
ولكن أسمح لى يا سيدى الطبيب ان أسألك من ذا الذى مد لى هذه
اليد الكريمة ، فتمفضل بدعوتك ؟

— من دعانى ؟

— أجل من دعاك ؟

— دعانى السيد الكريم الواقف جوارى أتجهلينه ؟

— ان جهات شخصه فاعماله تم عليه وانى أشكر الظروف التى سمحت لى
التشرف بمعرفة سيد كريم ذا مروءة وشمم
وهنا تكلم سعادة البك بعد أن ظل طول هذا الوقت ساكناً ، ويظهر

انه كان يرتب الحديث الذى سيلقيه على مسامى :

لى الشرف العظيم ان أقدم نفسى للسيدة نوريس فأنا عطيه
. . . . بك جارك الموظف فى ولقد هياً لى سبيل خدمتك خادمك لانه
عقب انمائك بحث عن طبيبك ولما أعياه البحث سأل بوابى ان يسأنى عن محل
طبيب لأن سيدته مغمى عليها . وما سمعت الخبر حتى هرعته وأحضرت
السيد النطاسى

مددت له يدى ليقبلها علامة لشكرى لصنيعة وقلت :

— شكرا يا سيدى البك

— عفوا يا سيدتى : فأنا لم أقم الا ببعض الواجب

— سجاياك كريمة تستحق مزيد الشكر عليها

وهذا اعترض الطبيب فقال :

— الآن وقد استجمعت السيدة بعض قواها فانى استأذن الا انى أوصى

من بالمنزل بملازمتك . ألدك أحد يلازمك ؟

اسمعى يا « أفكار » سأدبر اليوم مكيدة لفتنة جارى فان نجحت ضمنت بقية الوثيقة التى تستحق الدفع بعد سبعة أيام ان لم تكن القيمة الاسمية للوثيقة نفسها وستكونين فى هذه المكيدة ساعدى الايمن ونجاحها متوقف عليك

انتظرى اليوم حضور البك جارى وبعد حضوره بنصف ساعة جرعيني جرعة من الدواء الذى كتبه لى سيدى الطبيب الكريم فهذا الدواء يعينى عن الرشد . وبعد ما يعنى على تصرخين فيحضر البواب وتسأليه أن يتظاهر بالبحث عن طبيب مجاور لانه لم يجد طبيبا وسيدته مغمى عليها من زمن طويل فى ذلك الوقت يبحث السيد الجار عن الطبيب ويكون ذلك واسطة لدخوله صرحى .

ذلك دورك فى هذه المكيدة وعلى اتمامها ولتكنفى الطاهية أن تمد لنا عشاء فآخرا لذيذا أفهمت .

— فهمت يا سيدتى وسأنفذ اوامرك بكل دقة .

— شكرا ! كل الله مسعانا بالنجاح

* * *

لعبت « أفكار » دورها بدقة لآنى شعرت أن الطبيب يحقننى ، ففتحت عيني وقلت بلهفة المذعورة الخائفة ،

ماذا أرى رجلين كريمين !

أرى طبيبا يحاول ايقاظى وسيدا كريما جواره ، ما هذا فى حلم أنا أم فى يقظة ؟ وما هذه الالغاز التى لا أفهمها ؟

— خفى عنك يا سيدتى فقد مضى الآن علينا اكثر من لصف ساعة

نحاول أن نوقفك والآن وقد تكلمت محاولتنا بالظفر فهل تخلى للسكون لا سيما وأعصابك لا تزال متأثرة

بكرم حاتمى لأنها خفيفة الروح ، وقد لاحظت انه يحبها وهى لا تحبه بل
تتظاهر دائماً بحبه فتتقن تمثيل دورها وسيدى مجهل ذلك لانه سليم الطوية
وهى خبيثة ماكرة

- علمت ان له زوجة فأين هى .

- زوجته فى دمياط عند والدها وهى جميلة الا ان سيدى لا يحبها

- أيزورها .

- أحيانا

- ومتى يزورها .

- كل أسبوعين مرة

- أيبصر عليها كثيرا .

- أظنها لا تكلفه شيئاً لأنها غنية

- أيعود دائماً متأخرا

- لا بل احيانا يعود مبكرا ؛ وأخرى لا يخرج من القصر بعد رجوعه

من محل عمله

- أتظن انه يحضر الليلة مبكرا

- أوكد انه يحضر ويفاب على ظنى انه لا يخرج بعد الغذاء .

- أهكذا كل ما تعرفه عنه .

- نعم

- شكرالك وهالك جنيها سادسا جزاء أمانتك فى نقل الحديث

- لازلت عوناً للفقراء يا سيدتى

يكفى ذلك الآن وقد انتهت مأموريتك أتصرف بسلام

- أمر سيدتى مطاع

*
* *

بعد انصراف البواب الثرثار حضرت وصيفتى فقلت لها :

ذلك وما أطلبه منك هو ان تجاوبني على الاسئلة التي سأطرحها عليك فاذا صدقتني الحديث أعطيتك ثلاث جنيهات مكافأة لك وللخادم التي تشاركك في الخدمة اثنين أموافق .

— نعم ياسيدتي وحتماً أنك سيدة كريمة وكم أود من صميم فؤادي وتشاركني أمينة شريكتي في الخدمة ان يرعوى سيدى ويشوب لرشده ويقلع عن سيء عاداته .

أصدقك الحديث يا سيدتى ان سيدى البك معجب بمحضرتك جدا الا أن بعض الخليعات يشغلنه عن التفكير فيك ولكن هذا لم يمنع تصريحه لنا مرارا انه يود ان يتعرف بمحضرتك .

— كفاك ثرثرة ولتسمع ما أطرحه عليك من الاسئلة قلت له هذه الجملة وأنا متظاهره بالغضب لكنى في الواقع كنت مبتهجة مسرورة لانه كفاني مشقة سؤال مخجل أيقصد سيدك شيئاً من مرتبه .

— لا بل لا يكفيه

— أله موارد أخرى خلاف مرتبه

— نعم لديه ريع ثلاثين فدانا ومائة وعشرين جنيها سنوياً . بدلا عن وصايته على أخته

— أتعرف انه يقتصد . بالرغم من انه يصرف اكثر من مرتبه .

— نعم لأنه بالرغم من أنه يقضي أغلب لياليه ساهرا فمتوسط مصروفه الشهرى ستون جنيها من دخله الذى يقدر بتسعين جنيها وعلى ذلك فمتوسط ما يقتصده شهريا ثلاثون جنيها وقد بلغ ما اقتصده من دخله ستة آلاف من الجنيهاات وهو يود ان يشتري بهذا المال أطيانا الا ان الله هيا له سيدة جميلة متلافة فأصبح دخله لا يكفيه فشرع يسحب من المال الذى ادخره وقد علمت انه كلفها في مدة شهرين اكثر من تسعمائة جنيها . وهو يصرف عليها

- وكيف عرفت انه لا يعود .

- يس يخبرني ذلك

- واليود الذي لا يعود فيه متى يرجع للمنزل ،

- يرجع ظهرا في ميعاده العادي

- أتلاحظ ان سيدات تخرج معه في الصباح .

- لا حظت ذلك ثلاث مرات

- أمصريات هن .

- لا بل أفرنجيات جميلات

- ألا تعرف شيئا آخر .

- كلا يا سيدتي

- أتظن أن يس البواب يعرف اكثر

- نعم ولكنه يحب المال حبا جما

- اذن ابعته الى وفهمه اني سأعطيه ما يرغب من المال وهالك مني جنبها

جزاء قيامك بهذه المهمة .

- شكرا يا سيدتي ومطلبك سألبيه

لم تمض ربع ساعة حتى أنبأتني وصيفتي أن يس البواب قد حضر فأمرتها

أن تدخله فدخل ولاحظته يقلب نظره في محتويات غرفتي ليعرف هل غنية

أنا أم فقيرة؟ فتركته يفعل ما يريد وأبيت أن أبدأ معه الحديث وبعد أن أتم عمله قال:

ماذا تطلب سيدتي؟

- أنت بواب عطية يك .

نعم يا سيدتي

- عرفت شيئا عن سيدك ، عرفت انه يقضى أغلب ليلته في السهر . عرفت

انه بعيد عن زوجته . عرفت انه يصرف مرتبه على صويحباته : عرفت كل

- وكيف حال معيشته ؟
- هو في رغد من العيش مبسوط جداً
- أتقصد بمبسوط أنه غني ؟
- أظن أن عنده كثير من المال
- إذن هو غني
- لا يا سيدتي لانه لا خدم كثيرون عنده ولا سيارة ولا عربة
- اذن تعد من يملك سيارة وعربة ومن يستخدم كثيراً من الخدم غنياً.
- وكيف أعد الغنى يا سيدتي .
- أتعرف أنه موظف .
- نعم في لأن يس قال لي مرة انه ذاهب . . . عند البك سيده
- اهو متزوج .
- نعم ولكن زوجته عند والدها في دمياط
- اهو من دمياط :
- لا هو من المنصورة
- أتلاحظ أنه يقضى بعض لياليه خارج منزله .
- نعم كثيراً ما لاحظت ذلك
- وكم يوماً يغيب عادة .
- أحياناً أسبوعاً وأخرى يومين متتابعين وغالباً يومي الخميس والجمعة
- أتعرف مواعيد خروجه .
- يخرج في الصباح فلا يعود الا عند منتصف الساعة الثانية ثم يخرج
- حوالي العاشرة ولا أعرف متى يعود .
- أيعود متأخر .
- متأخراً جداً وأحياناً لا يعود

- هن خليلاته

- أستطيعين أن تصفيهن لى ؟

- لا أستطيع تماماً ولكنى أقول ان احداهن سيدة بدينة والاخرى

معتدلة القوام

- أو ائقة أنهن خليلاته ؟

- جد الوثوق لانهن يصحبنه فى ساعة متأخرة من الليل ويخرجن معه فى

الساعة الثامنة

- ولم يبكر فى الخروج ؟

- لانى على ما أظنه موظماً لانى لاحظت أنه يعود حوالى الثانية مساء

ولا يخرج من المنزل الا العاشرة ولاحظت أن غرفة نومه لا تضاء الا التاسعة

ولذا أرجح أنه يقضى كل وقته فى النوم ليستطيع احتمال السهر الطويل .

- هل هذه ملاحظاتك كلها عن سعادة البك

- أجل ياسيدتى فانى شئت معلومات أكثر فحسن عليم بها لانه يستطيع

أن يجبرك عن حقيقة أمره لانى لاحظت - ومعذرة أن فاتنى أن أذكر هذه

هذه الملاحظة - انه أثناء محادثة حسن للبواب يس تحضرفتاة فى الثامنة من

عمرها وأظنها خادم غرفة البك وتتكلم معهم ويغلب على ظنى أنها تحدثهم

حديث اليوم .

- اذن أستدعيه الى فى الحال

كما تأمر سيدتى

لم يمض خمس دقائق حتى كان حسن البواب مائلا بين يدي فقلت له :

- أتعرف جارنا البك ؟

- . . . عطيه . . . بك أعرفه حق المعرفة

- منذ كم اشترى القصر ؟

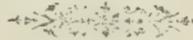
- منذ أربعة أشهر ونصف

٢١

الفتنة

- استدعيت وصيفتي الأمانة الحافظة لسرى وقلت لها :
- أتعرفين شيئاً عن أحوال جارنا ؟
- كلا يا سيدتي لا أعرف الا القليل ولكنى أظن أن حسن البواب يعرف الكثير من ذلك
- وكيف عرفت أنه يعرف شيئاً كثيراً عنه ؟
- لأنى أشاهده يحدث بواب منزل البك جارنا
- أجارنا (بك) أم أنت مانحة له اللقب كالعادة المتبعة ؟
- انه بك لانى سمعهم مراراً يدعونه كذلك
- أتلاحظين شيئاً على البك ؟
- ألاحظ أن لاربة للقصر بل فيه زوج من الخدم من النساء وطاه والبواب
- وكيف عرفت أن لاربة في القصر ؟
- لاحظت كثيراً أن غرفة البك لا تنار عدة ليال وفي هذه الليالى أجد النور في الطابق السفلى حيث تسكن الخدم .
- وكيف لاحظت هذه الملاحظات الدقيقة ؟
- اعتدت أن أنتظر عودة سيدتي من سهراتها في النافذة فكنت أرى البك جارنا وهو أيضاً راجع من سهرته وكثيراً ما استصحب معه سيدة أو اثنين
- تقولين أن لاربة بالقصر ، ومن هن النساء اللاتى يستصحبهن

ومستودع مخازى أمور الاسر . فان أردت استطلاع حاله أسرة أعجزك
اكتشاف حقيقتها ، عليك بالخدم نسايم ورجالهم
ان المعاشرة تحت سقف واحد تولد العطف بين جنسى هذه الطبقة الدنيا
فالنساء من خدم القصر تحب نظرائهن من الرجال فيفشين لهما يسمعهن وبلتقنطه
من الاحاديث والاسرار الجسيمة ، فيسمع لها الرجل بكلمة ويحفظ حديثها
ويكون غالبا معوانا ومساعداً لمن على التحدى فى هذه الخصلة الدنيئة .
تغلط السيدات ويهفو الرجال أمام الخدم غلطات قبيحة ، ومن الغريب
أنه دائماً مجلوهم معانبة بمضمهم البعض وسرد زلاتهم أمامهم وبعدهم يحاول
كل جهده أن يبرىء ساحة نفسه ، فيكون ذلك درساً جليلاً للخدام
ولا يمضى الا قليل من الوقت حتى يخشى الاسياد الخدم فيبذلوا جهدهم
ليستبقوهم عندهم ، فيعطى الخادم ويبنى ، ويتمرد ويتملك ، ويصبح السيد
الآمر صاحب الكلمة العليا ، صاحب السلطان المطلق ، فيحل الخادم محل
رب القصر ، والخادم محل ربه ، وذلك كله بفضل غلطات الاسياد المكرمين .
فكم من خادم فشى سر سيده وسيدته ، فجر عليهما المصائب والكوارث
ذلك السلاح الدنيء سأسعمله فى فتنة جارى



جارى ، صاحب القصر المجاور لصرحى منذ بضع شهور الذى يظهر انه سرى كبير ذو مال كثير فان استطعت أن أنال من ماله حوالى أربعمائة جنيهاً أكون وفقت فى عملى

بالله انه لمبلغ جسيم سأجهد نفسى اجهاداً عظيماً حتى أحصل عليه فى الوقت المحدد وسوف يؤنبنى ضميرى طويلاً ولكن هذا مالا بد منه وهو وهو الطريق الوحيد والا فهناك فتمكم الدائنين وسخر يتهم وهزؤهم وانذارهم ووعيدهم وفى ذلك الوقت يتداخل جارى ويدفع دىنى فاغدو أسيرة له . فلم لا أسيره اسيرالى ؟ لم لا أضطره أن يرتدى تحت قدمي ويطلب منى أن أحبه ، النتيجة واحدة سأكون له مختارة أو مضطرة ، فان أصبحت خليلته مختارة ملكت قلبه ، وتسيطر على فؤاده ، وأصبح منفذا لارادتى ، مطيعاً لامرى ملبياً لطابى ، وان غدوت عشيقته بالرغم منى تنعكس الآية فأذعن لطلباته ، وأطيع أوامره ، وأنفذ مطالبه .

لا أستطيع ان أحمل الذل فأكون مسيرة فى يد الغير لاني تعودت ان أكون مسيرة للغير ، فزوجى كان يطيع امرى ، وعشاقى يلبون مطالبى ، ولا اراجع فيما أقول .

تعودت أن أكون آمرة مسيطرة فهل أصبح مأمورة مسيطر عليها ، هذا مالا أستطيع تحمله

على أن امهد طريق فتنه هذا الرجل ومساعدى فى طريقى خدام صرحى وخدام قصره وسيكون المال وسيلة لافشاء سر سيدهم

المال يدفع الرجل المهذب الى خيانة من ائتمنه فهلا يدفع العاميين بسطاء العقول ، ضعاف النفوس الى خيانة اسيادهم ، انهم بلا ريب ازاء قليل منه ازاء جنيهاً أو اثنين ، ازاء وعد جميله ، ازاء ضمان معيشة رغدة يديحون كل ما يعرفون من دخائل أمر سيدهم .

اعتادت خدم القصور وبيوتات الاشراف أن تكون خزانة أمرار ،

كل يقبحه ، لكنهم متفننون فيه حتى أصبح مبدءاً ثابتاً لهم وصار عادة لا تستأصل ، وبمرور الزمن أصبح المستهزى له مستحسناً ومستطرفاً وهكذا عبثت يد الانسان بكل شريف مقدس دون تردد

أصبحت الصناعات الشريفة لا يحترفها أصحابها الا للمال ، فالطبيب لا يحترف مهنة الطب الا لجمع المال ، ولا يحفل الا بما يتقاضاه من المرضى لاشباع مطامعه ، والمعلم يستدر المال من طلبته ولا يوفهم حقهم من العلم والتربية والتهديب ، والصحافي والكاتب يؤجر قلمه رغبة في الدرهم بلى من العدل والصواب أن يكون لكل عمل أجر ولكل تعب جزاء ، الا أنه من الخطأ البين أن يكون الربح هو الباعث على الغاية سواء كان المحهود جثمانياً أو عقلياً

ان مثل من يحب المال حباً جما ، كمثل من يعطش فيشرب الماء الاجاج بقصد الارتواء فلا يمنع شعوره بالمعطش بل يضاعفه ، ومحبو المال يزيدون ولعهم به باضافة الحسد لهذا الحب

« يا لله من فظاعة ما يحدث ان الطفل منذ الطفولة يحنى ركبتيه اجلالاً للعجل الذهبي والمعلمون يتظاهرون باحترام الطالب السرى ، الفقراء يقتدون بمعلميهم فيمنهجون نهجهم ، والصحف لا تكف عن الافاضة بمدح الاغنياء ، والناس يتركون لهم الاماكن الممتازة حتى في دور الصلاة والعبادة ، والنساء أدنى الى الانخداع بمظاهر الغني من الرجال ، والكل ترى المال حائلاً بين حقيقة الانسان — وان سفل بمصالة — وبين مظاهره الداعية الى الاجلال (١) .»

*
* *

فكرت فوجدت أن أحسن طويقه أنال بها المال الذي أطلبه هو ان افتن

(١) مقتبس من كتاب روح الاعتدال للكاتب الاجتماعي حافظ

افندى نجيب

العصر المادى

اليوم العشرين من شهر اكتوبر فلم يتبق على استحقاق خمسمائة من الجنيهات الاسبعة أيام ولا يوجد فى خزانتى منها الا ثلاثون ومائة وطقلى غائب فى ضيعته ، ولا أود ان أطلب منه مبلغاً جسيماً كهذا لاني أخذت على حاتقى الأحملة ما يما

أصبح المال كل شىء فى هذا العصر ، وأصبح له قوة وتفوذو غدا له سلطان مطلق فاضحى الطمع والانانية خطراً على المجمع الانسانى

المال أساس هذه الحياة وروحها ، هو مفتاح الامل لمن يطمع فى نيل غرض ، وحلال المسائل لمن يعجز عن حلها ، له السلطان المطلق على القلوب والتغلب على النفوس لانه أقطع برهان وانطق لسان ، هو سبب المصائب ، هو طريق الشقاء وهو علة خراب الأمم ، هو ناشر الفساد ، هو مسبب الخداع ، هو مولد الغش ، هو مبيع المحذور ، هو مبدل حقائق الاحوال ، هو القوة الهائلة التى تستخدم للشركا تسخر للخير ولقضاء الحاجيات

استولى حب المال على الافئدة ، وتملك القلوب ، فسمى له ابن آدم من كل طريق خيره وشره ، فتاجر بالعرض ، وقامر بالوطنية ، ورعى الدين وراءه ظهريا ونبذ العاطفة جانبا

يشتمز الانسان من هذا النوع من الاتجار ولا يوجد من يستحسنه بل

— شكراً يا أميري العزيز

— اذن تفضلي بقبول هذا الخاتم كتذكار لصداقتي ، طالع هذا الخاتم
ميمون فكل من لبسه لازمه حسن الطالع فليكن هدية مني لابنتك الصغيرة
— والآآن أتأذنين لي بالذهب

— الامر لسموكم

— آمل أن أراك في قصرى مصاحبة صديقى بعد اسبوع

— لكن صديقك بعيد عن القاهرة

— اعرف ذلك لكنه يحضر قبل مضي ثلاثة أيام

— حسناً إن شاء الله نتشرف بزيارة سموكم

— اذن الى اللقاء

— الى اللقاء يا صاحب سمو واترعتك العناية الالهيه

*
* *

صدق سمو الامير فخر طفلي بعد يومين من زيارته لى وأنبأنى ان والده
قد وافق على زواجى به مبدئياً وأنه بمد توديع سمو الامير سيعود ثانية
وللخدمية (ليتم عمله ويزف الى فى أقرب فرصة نتيجة السارة
ودعنا سمو الامير حتى السويس ، فقابل سموه وداعنا بالشكر
ووعدنا بالمراسلة فضلا عن أنه دعانا لزيارته فى مملكته فوعدناه خيرا



يقسم بين أكثر من ثلاثة آلاف من الوطنيين
يكبرهونني حد الكره لانني تعلمت في حاضرة ملككم ويحبون المرحوم
شقيقى لانه نشأ على الفطرة فتعلم في وطنه تعليماً لا يفتنى ولا يسمن من جوع
ولقد كتب لى صديق يحدثنى أن معتمدكم حزن لموت شقيقى ، لانه
كان يخلص لشقيقى بل لانه مشتم من وراثتى للعرش ولو خير فى الامر
لابعدنى ، ولكنه يخشى ثورة الاهالى العزل من السلاح وهو المالك للقوى
البرية والبحرية التى تذلل عشرات من ممالكنا

علمت انى ذاهب لاتولى العرس ولولا ان أعدائى من الاسرة المالكه
يذنظرون بفارغ الصبر رفضى له لرفضته ولكن الوطن يدعونى لالابى نداءه
فيجب أن الالى هذا النداء

اذن فأهل مملكى - ان قبلت طلبى - سيعدونك شبه زوج لى ، لكنك
فى نظرى زوجتى .

- شكراً يا أميرى العزيز . يسوءنى أن أرفض طلب سموكم لامرين : الاول
هو انى لا أود أن أكون خلية فى بلد لا أعرف من أهلها أحد نعم سأكون
وحيدتك ولكنى فى الوقت ذاته عشيقه الملك ومحظيته أليس كذلك ، ثانياً
هو أن طفلى سوف يتزوج بى بعد قليل زواجاً شرعياً ينتشاني من حياتى
الملوءة بالادناس

- من طفلك هذا ألك ابن ؟

- حقاً لقد نسيت انما أقصد بطفلى صديقك حكمت افندى

- نعم يا أمير العزيز لى ابنة ولكنها بعيدة وسوف تكون قربى عندما

تحقق آمالى

- أنعاقد معك على ذلك ؟

- نعم اتفقنا

- اذن اهنتك واتمنى لك سعادة دائمة

يكرهون المتعلم منا ويأبون ان نتبحر في العلم ويفضلون أن نتعلم قشور
العلوم ولذا يبذلون جهدهم لتنفيذ مطالبهم
ينشرون بيننا مفاسد المدنية فأنشأوا منازل القمار ، وشيدوا مواخير
الفجور

لا نستطيع أن نخالفهم في أمر يريدونه ، فان فعل حاكنا أو موظفنا ذلك
أجبر على التنازل وان تنازلنا عن العرش حرضوا شعبنا على الثورة ، وتكون
خاتمة الثورة دائما التنازل عن العرش

أرهبوا شعبنا بالضرائب وأثقلوا ظهره بفادح المكوس ، تشتمل الاهالى
وتكدح ولا تحصل الا على القليل من الكسب . والسادة الفاتحون يحصلون
على الكثير دون ان يلاقوا تعباً ولا نصيباً

لهم بيئة خاصة وأندية مخصوصة ومشارب معلومة ، محرم على كثير منا
دخولها ، عيسهم يضارع عيش أصحاب الجاه المعظمين من بني جنسهم
يقتنون الوطنية ولا يحبون من يهتف بها . أمنيتهم أن نظل دائما خدمة
مخلصين لهم ، محافظين على الولاء للدولة العظيمة ، نهتف من صغرنا بعظمتهم
ونشيد بقوتهم ، ونتغنى بعدلهم

تداخـلوا أخيرا في شئوتنا فخرضوا جدى على سن قانون يجرم على ولى
العهد منا التزوج الامن اسرتنا المالكة ، فان امتنع ومن لم يراع حرمة القانون
لا يعد زواجه شرعيا . وان استكمل الشروط الشرعية ، فلا يعد أولاده أمراء
فعلوا ذلك لانهم علموا اننا لا نعلم بناتنا ولذا لجأوا الأسمى سلاح يقضى
على الاسرة المالكة بالقتل .

يقدمون في وطنهم الحرية ويتركون زعامتهم لابن الشعب ، لكنهم في
مستعمراتهم ارستقراطيين جد الارستقراطية
يجبون الرتب وتعدق عليهم بلا حساب ، يطمعون في المال فيطغي لهم المال
من غير حساب ، نصف ميزانيتنا مقصور على عشرين من بني جلدتهم والباقي

— ومن سن القانون .

— المرحوم جدى

— ألا يوجد طريق لالفائه .

— ولم .

— لان السادة الفاتحين يأبون

— أتتكرم على بتوضيح ذلك ؟

اظنك تعلمين من صديقى ان شقيقى ولى العهد مريض وحالته تنذر بالخطر

وازيد على حديثه أنه يوفى منذ اسبوع

وعقب وفاة أخى الذى محبوبا من والدى اكثر منى ، انتابت والدى

نوبات عصبية شديدة ، فاستدعيت برقىا لتولى العرش بالنيابة لان كل الاطباء

قررت بالاجماع انه لن يشفى ، ولذا سأبجر الى وطنى فى اول باخرة

ان وطنى كله ، بل سلطتنا تكاد لا توازى اكبر مديرية من مديرياتكم ،

فنحن اذن كهدير فى احدى مديرياتكم

ولكن شاء السادة الفاتحون على التفرير بنا ، فساعدونا ان نظهر بمظهر

الابهة والعظمة ، فوضعوا التاج فوق رؤوسنا وخطبونا بصاحب الجلالة وما

أشبهه من الاسماء الخلابة التى تفرر بسطاء العقول منا ، والتى كانت سببا فى

تفرير والدى ، ولا يخفك ان والدى ما هو الا منقذ لارادة الفاتحين . والحاكم

لمملكته هو المعتمد الفرنسى ، ذلك المسيو الصغير الشأن فى بلاده

لوعرف السادة الفاتحون ان باستطاعتهم حكم مملكتنا بلا حاكم وطنى

لفعلوا ؟ لكنهم عرفوا وجربوا ، أن ذلكم الحاكم الوطنى يساعدهم على تنفيذ

ما يريدون

يساعدهم على الارهاق والظلم ، يساعدهم على العسف والجور ، يساعدهم على

تسخير ابناء وطنه اوبيع حريتهم ازاء قليل من زخرف كاذب ، وضيئل منفعة

مادية ، وقليل من سلطة لا أساس لها

زيارة الامير

في ضحى اليوم الخامس من شهر اكتوبر ... زارنى سمو الامير الامير
الجليل فقابلت زيارته بالتجلة والاحترام وتجاوزنا أطراف الحديث واليك بعضه

— أظن زيارتى لم تمكر صفوك ؟

— على النقيض ا كسبتنى شرفا

— شكرا . أتعلمين سبب هذه الزيارة

— كلا اجهل الدافع اليها ؟

— سأحدثك عن ...

— عن المخاللة

— لا بل عن الزواج اللاشرعى أريد ان اختص بك اتواقين أم ترفضين

— وكيف تود الاختصاص بى اتود ان تتخذنى خلية .

— لا بل شبه زوجة

— ولم لا اكون زوجة الأنى عاهرة .

— لا بل لأن هناك عدة عراقيل

— أتخشى من صاحب الجلالة والدك

— طبعا اخشاه لكن هناك مانع آخر لان رضاء جلالته والذى امره سهل بسيط

— من الممانع ؟

— القانون

بحث ونقب ، ثم كتب لي أنه يقبل زواجي وسيتخلص من محظيته
بأقرب فرصة

انتظرت واثناء انتظاري تقدم رجل كهل سرى لوالدي وطلب يدي ، قبل
والدي طلبه مبدئيا ولكني أخشى العار ، أخشى أن أفتح والدي عن زلتى
وأخشى أيضا أن افقد المهندس الرقيق

سوف اسمى جهدى لاجل والدي على زواج شقيقتي بك ، وأرجوك من
جهتك أن تمدى يد المساعدة فتفشي لأخى سر نفسه وتطلبى منه مساعدتى
في رفض ذلكم الكهل

انك ان فعلت ذلك ، أعدك أن زواجك بشقيقتي يتم
وختاما تفضلى بقبول خالص لشكرى وجليل امتناني ؟

(فلك)

المهندس الذى تعنيه الصديقة صديقتى بل هو أعز أصدقاء المرحوم زوجي
ولذلك سأبدل جهدى لاجله على التخلص من خليلته ، وتلك أرسات لها
الكتاب التالى أبشرها فيه بقضاء ما تؤمل واستحبتها اتمام مهجتي :
الجزيرة فى ٢٢ اغسطس
سيدتي الآسنة .

بالبشر تلقيت خطابك ، وبالسرور تلوتة ، فشكرت لك تفضلتك بمصادقتي
وصاغتُ بك بالسرور والاعجاب

حزنت لتشبث والدك وتألمت لعناده ، واني اشاركك فيما تذهبين اليه
وسأحمل المهندس النبيل نشأت افندى على طلب يدك بسرعة من والدك ،
واحمل شقيقتك أن يساعده — بعد افشائى له سر نفسك —

أمل ان تزفى لي بشرى موافقة والدنا على الزواج وختاما تجديننى على
الدوام مستعدة لمساعدتك ؟

(خالدة)

لكننى بعد حديثه رثيت لهذة النفثة وقدرت عذابها حق قدره ، لا أقر أن
كلهن يستحقن العطف بل أقول أن كثيرات منهن تستحق الرحمة والحنان
أنت قديسة طاهرة بينهن ولذا لا أستنكف أن أمد لك يدي طالبة
صداقتك ، محدثة اياك عن نفسى

*
* *

اعتادت الامهات المصريات أن يفرسن فى نفوس بناتهن أنهن انما وجدن
فى الحياة ليكن زوجات صالحات لرجال كرام يتولون اسعادهن وترفيهن
جرباً على هذه العادة كونت والدتى المرحومة فى نفسى هذه العقيدة
ولكن الله لم يشأ أن تحقق أمنيتها وتزفنى للزوج المطلوب
أحببت كما نحب الفتيات ، ولكن جى هذا أضعف قواى العقلية
واستولى على مشاعرى . فأصبحت لا أرى فى الحياة الا شخص من أحب
تقشعت سحابات الحب ، وتجزت أجرة الهناء ، وتبدد السرور المفرط ،
وتضائل مفعول المقاقير الحبية ، فاذا فضيحة وعارواذاجنين يسكن فى أحشائى
وعار يلطخ شرفى ، واذا بسيدى الحبيب يهرب بعد ان نال بغيته وفاز بطلبته
بحث عنه طويلا لكن دون جدوى ، أخيرا علمت أنه قد غادر الديار
فرارا من نتيجة عمله .

وأخيرا وضعت الطفل دون أن يعلم والذى بأمره لانى كنت فى العاصمة
أزور صديقة لى . وفيها وضعت وفيها أربيته
تعرفت أثناء وجودى فى العاصمة بمهندس كبير يدعى نشأت افندى وكان
هذا المهندس الرقيق جار لصديقتى
اجبى ذلك المهندس وأحبيته وتنزهنا سوياً مرارا وراسلنى عند
ما رجعت لبلدى ، ولا أزال جتى اللحظة ارسله
فاتحنى فى أمر زواجى به فكتبت له انى لا استحق هذا الشرف العظيم
لانى ساقطة

سر الصديقة

في الفترة التي قضاها طفلي في ضيعة والده يسترضى أهله ، تلقيت منه
كتابا يحدثنى فيه أن شقيقته ستكتب لي كتابا
واليوم تلقيت كتابها وهالك ما فيه :
الخدمية في ١٩ أغسطس
حضرة السيدة .

اكتب اليك قبل أن أنشرف بالتعرف بك ، وإنما شقيتي هو الذي حدثني
عنك وعن مأساتك ، خزنت لحديثه وشاركته رأيه .
اكتب اليك اليوم هذا الكتاب وكلى أمل أن تعبريني صديقة ، لاسيما
وأنا في ميسس الحاجة لصديقة مثلك ، نشد أزرى وتكون خير من أفشى
لها أسرارى

تعلمين الأثر المبيء الذي تخلقه البغايا في قلوب الطاهرات الشريفات ،
وتعلمين أن الماهرات لا يفوين الفتيان فحسب بل والازواج ، تعلمين أنهن
يسابن ما تملك أيديهم ثم يطردوهم حين يغدون صفر اليدين ، تعلمين أن ذلك
الصنف - اللهم الا النادر - جاهلات فقيرات عاكفات على الحمر والتدخين
ذلك هو الأثر السيء الذي خلفته تلك الطائفة من النساء في أذهان الامهات
والزوجات والآنسات ، وتلك تكون عقيدة كل امرأة شريفة في البغايا ،
ولتسمحنى أن أصارحك القول أنها عقيدتي قبل أن يحدثنى شقيتي عنك ،

فارتضيت بك بعلا على الفور لظننت - ولك جق - انى طامعة فيك وربما
أسأت لك من حيث أردت الاحسان لأنه قد يكون نارالحب الجنونى مستول
على مشاعرك مالسكه لحواسك ، فتمندم حيث لا ينفع الندم
ثق يا طفلى أن كل ما فعلته خيرك ، فنشددى واعراضى وتجاهلى واغضائى
لفائدتك

لقد وضعت نفسى موضع الحبيبة الشريفة ، لا الخليفة الدنيئة ، فأبيت
أن أحملك دينى الثقيل حتى ولا بعضه ، ولم أشأ أن أحرمك رضاء أهلك ولذا
لم أبع لك اغضابهم ، ولم أشأ أن أعجل زواجى بك حبا فى زواج شقيقتك
- أندرى أن هذا منك صنيع جميل ذو معنى حسن وذو أثر بليغ

- شكرا وسأرى ان كنت ستثبت على رأيك أم تتغير

- لن أحميد عن حبك

- أشعر أنى اكاد أفقع من النوم أراغب أنت فيه

- طبعالانا فى ساعة متأخرة لا سببا وقد قضيت أمسى ساهرا أفكر

فيك وكيف أحمل لك البشرى؟ وكيف سنعميش فى المستقبل .

- دع الامور تجرى فى مجراها

- سأطيع أمرك ولا يفوتنى أن أحدثك أنى بعد غد سأسافر لبلدنا

الخادمية ثانية لأرى ماذا صنعت شقيقتى فى قضيتنا وآمل أن أرف لك من
هناك بشرى الموافقة

- نقتل هذا الموضوع فى الغد بحثا أما الليلة فانى تعبى فيها للنوم ...



جبينك وكأنا كانت القبلة تياراً كهربائياً سرى في جسمك ، فقامت بسرعة
وانسلت بمجلة حتى اني لم أستطع امساكك
- أ كنت تريد بعد ذلك مني الاستسلام ؟

حبذا لو كان ؟

ان كان كلامك حقاً فلم لم تفرع باب قصرى ؟

- كثيراً ما عزمت على قرع باب قصرك لاستأذن منك في الدخول ،
ولكني لم أجد في نفسي الشجاعة الكافية لاتمام هذا العمل ، وفي حفلة الامير
ساعدني سموه عليه فحمل عن عاتقي حملاً ثقيلاً ولكنك ملت للخداع
- ملت للخداع لاعرف قدر حبك

ولما تجاملت معرفتي وادعيت عدم حبي وحذرتيني من هذا الحب وأنذرتيني
من نتائج السيئة خفت وقلت في نفسي أهى صادقة فيما تذهب ؟ ولما منحتيني
مكاناً علياً فقبلت صداقتي وجدت أنه لا يزال طريق للحب وأن قلبي لم يخطأ
في حديثه لي

ولكني كثيراً ما غالطت نفسي قائلاً :

(قد تكون صادقة فيما تذهب اليه فهي لا تأبه بي ولا تفكر في حبي)
أصارحك القول اني خفت ووجلت واكتأبت واتقدت نيران الغيرة في
صدرى ، خوفاً من شريك غني يفرك بماله ويستميلك بحبه الكاذب

ولكن ظنوني وشكوكي تبددت بعد حين عند ما علمت أنك أخذت
تجيبيني فحدثتني عن نفسي ومددت لك يدي ، فصاغتنيها ولكن بجزء ،
وقبلت حبي ولكن بشروط قاسية ، قبلتها أنا شاكر امتنا

- مسكين أنت يا طفلي ، لقد تعذبت وكنت أنا سبب عذابك لأحسن
اختيارك ، ولأتيقن أنك لست ممن يتهاوت لإرضاء لشهوة نفسه

تجاهات معرفتك وأنا بك متمية ، صاغتك بجزء لا ستمقيك لنفسى ولئلا
تظن بي التهاوت والطمع ، فلو صاغت يدك الممتدة باعجاب شديد وامتنان عظيم

الضحك والسرور بينما أنا حزين

ولكني شكرت الله بعد لان حزني مكنتني من الاختلاء بنفسى ودرسك
حق الدرس . وجدت أنت الأخرى من نفسك دافعاً لان تهتمى بأمرى تدعينى
للرقص ، وهكذا مهدت لى سبيل حبك ، وكل برهة كانت تمر تقرر عيني بحبك
الذى كان لا يزال فى المهد صبيهاً ، فكنت أدمن النظر اليك بغية اكتشاف
سر نفسك ، وعند ما أتقابل بنظراتك أغض طرفى لأرى فى أعماق قلبى الصورة
التي رسمها الحب فيه ، وكان يحرضنى دافع قوى أن أفوى وأنزعك من
أحضان الراقصين معك ، ولكن الحياء الطبيعى فى نفسى كان يصدنى عن غرضى
ناجيت قلبى بهذه السعادة الجديدة وسألته أهو بك مغرم ، ولما كان
الجواب ايجابياً استخرت الله وسمحت لنفسى الاستمرار فى حبك لاني شعرت
أن ملاك الهناء يرفرف بأجنحته فوقنا ، وأخيراً حل دور رقصي فقامت
بنفس نائرة وفوقادمضطرب ومسكت يدك الممتدة وخالصرتك ، ولكنى كنت
أنتفض . فهمست فى أذنى قائلة : (تشدد)

أخذت هذه الكلمة رمزاً لابتداء الحب بيننا

- ان كان ما تقوله حق فلم لم تيمم دارى ،

- التخوف من سوء مقابلتك منعى

حسنا تم حديثك ؟

ولما اتخذنا بعد الرقص مكاناً منفرداً مظلماً ، أسرعرت فأمسكت يدك فلم
تمامعنى فى اعطائها ، ثم ضممتها بشدة فبدل أن تتألمى أو تتأوهى أو تسحى
يدك ، قابلتيني بالمثل ، ملت بعد ذلك برأسى نحوك وفى الظلمة طبعت قبلة
حب ملتهبة على بدك ، وما أحسست بها حتى عرتك رعدة شديدة وتلفت
بعمنة ويسرة خشية أن يكون هناك رقيب .

- أما أنت فتماديت فى غلوائك واختلست منى اخرى ؟

- نعم تماديت فى عملى فجذبتك نحوى وطوقتك بذراعى . وقبلتك فى

- لأمر أجهله

- أستطيع أن تخدني كيف أحببتني

تسأليني كيف أحببتك ولأحسن الاجابة على هذا السؤال ، وجب على أن أشرح كيف استطعت أن أدخل دارك في اليوم الموعد .

تعلمين أن السيد الطبيب الذي رافقتك ذلك اليوم هو الذي دعا سمو الامير ، ولما كنت من أعز أصدقاء سموه ، لاني تشرفت بالتعرف به يوم أن زار مصرنا ومنذ ذلك اليوم وأنا أتردد على صرحه ، وهو يأنس بصحبتى ويسر بعشرتى لاني كنت واسطة غشيانه المجتمعات ، وعلى الاخص مجتمعات الانس والسرور كما يسمونها ، ومجتمعات ألفجور كما يجب أن تسمى . كنت أعرف الشيء الكثير عن هذه المجتمعات مصرية كانت أو أجنبية ، وكنت أعرف الكثير من بيوتها السرية التي لا يعامها الا القليل . وكانت تلك المعرفة سبباً في توطيد الصداقة مع سمو الامير ، الذي كان يلذ له التخني والتستر خشية أن يفتضح فتنشر الصحف عنه وينقل الخبر لوالده فيستدعيه وأظنك علمت أن سموه النجل الثاني لمملك من الملوك التي يظلمها العلم الفرنسي . أما سبب زيارته لمصر وغيبته الطويلة فيها فرض استعصى على نطس أطباء الجزيرة فوصفوا له حلوان ومياهاها الكبرى بتيه . نزح للديار المصرية وصدقت نبوءة الاطباء فأنا لله الله الشفاء . لكنه أبى مغادرة الكنانة ومنذ عهد قصير قال لي هامساً اسمع يا صديقي ان أخى ولي العهد مريض وحالته تنذر بالخطر واني أوجس خوفاً من موته وان والدي شيخ عجوز فاذا مات أخى وجب على الرحيل في الحال وأنا أحب الرحيل لاني آنف الحكم تحت ظل الاجانب ولكن ذلك أمر لا بد منه والا انتقل الحكم لاعيدائي فضلاعن مصادرة أملاكى

فلما دعيت للحفلة دعيت أنا الآخر ولكنني اعتذرت لان شقيقتي كانت مريضة وكنت على نية السفر لزيارتها ، ولكن سمو الامير منعني وشدد على في حضور الحفلة فحضرت واحتفلت مع المحتفلين واضطرت أن أجابهم في

- لا أفضل اللحظة ؟

- اذن أمسك عن اتمامها

- حسنا تصنعين

- أمرك مطاع يا طفلي

- آه حقاً انك جميلة اليوم

الساعة جميلة لأنني في حضرتك ولأنني شرعت في طلاء وجهي وتزيين

نفسى .

- لا . لا أفصد أنت جميلة اليوم

- حسنا أحدثت أسرتك ؟

- نعم حدثتها

ومن من الاسرة حدثت ؟

شقيقتي

وكيف حدثتها :

قلت لها أن صديقا لي أحب فتاة كانت

- حسنا وماذا قالت هي

أشارت على بمساعدته على الزواج بها

- ثم ماذا

- ثم قالت لها انى أنا ذلك الصديق عند ذلك

- لم ترفض بل قالت : أين تسكن من تحب ؟

- أخبرتها بمكان اقامتي ؟

- طبعاً لانى أظن أن ذلك هو الواجب

- ثم ماذا ؟

- وعدتني وعداً صريحاً أنها ستهم بنفسها فى هذا الامر وستكتب لك أولاً

- ولم تكاتبني ؟

كيف أحبنى . . . ؟

- من الطارق ؟ ان كان طفلي فليدخل ؟
- هو أنا يا حبيبتي
- لقد بكرت في الحضور ؟
- وصيفتك حثتني على الاسراع
- أتقول حقاً ؟
- حبك هو الذى حثني ، الشوق لرؤياك دفعنى ان اسرع
- نعم الشوق لرؤياى دفعك أن تسرع ومنذ قليل تقول ان حبي لك قد خمد أليس كذلك ؟
- عفوا حبيبتي
- اعترف ان حبي الغيرة أصابتك
- هو الحق
- اذن نقضت شروطي التي قبلتها
- لا أزال محافظاً عليها
- تضرب بالباقي عرض الحائط
- لن أفعل ذلك
- لا تزال محافظا عليها واليوم فقط نقضت شرطا منها وفي الغد :
- حسنا أسلم انك لن تفعل ذلك فما وراءك من جميل الاخبار
- كل ما عندي أخبار سارة ، أود ان اطلعك عليها ولكن عقب أن تنتهي من زينتك
- أتود اللحظة أم بعد نصف الساعة ؟

قليل سوف أفشى لك هذا السر في القريب العاجل .

أما هبتك فهي لك — ان شئت — لاني لا أقرها الآن .

لن آخذ ما أعطيته لك :

اعدك يا فتاى ان أكون لك .

شكراً ! وان كان خروجي يسرك فأنا راغب فيه

لا عدمت صديقاً مثلك فأذهب صحبتك السلامة وتجدني بانتظارك

بعد الغد .

وهكذا تخلصت من صديقي ولم أغضب طفلي

* *

أمرت الخادم ان تكلف وصيفتى اذا حضرت بالسماح لطفلى أن يدخل

على فى متزىنى .



نعم هذا صحيح ، وهي الحقيقة المرة التي يجب أن نعترف بها .
ان استعملت كلمة بنفي بمعناها الحق ، أغضب استعمالى طبقة الفتى الموسر ،
وبيئة الشريف الحسيب ، واسرة الامير الجليل .

البنى والساقطة العاهرة مسميات لاسم واحد .
العذراء التي تقع فى شرك الحب الجنونى تفقد صوابها لان حبها الجنونى ،
حبها الخالد ، الابدى ، حبها اللانهائى ، ذلك ، الحب يحكم على قواها العقلية
ويستولى على شعورها فيضعفه ، أفلا تود العذراء فى هذه اللحظة ألا ان ترى
شخص من تحب ، فهوى برؤيته للسماعة هوى ، ويود العاشقان من صميم
قلبيهما أن يستسلم كل منهما لتصوراته وخيالاته ، فان ساءت الظروف
وتزوجا انتهت المأساة بسلام ، والا فهناك العار نتيجة ذلك الحب الجنونى ،
فان وجدت الفتاة من أهلها العطف بعد زلتها انقضت كذلك مأساتها بسلام
والا فهوى من مرتبة الشريفات وتنتظم فى سلك البنايا ولا يميز المجتمع ان
كانت شريفة أو ضيعة فهى ساقطة ، ذلك حال الفتاة العذراء .

أما الزوجة فكثير ما يقدر الله لها فتى فاسدا يغويها فتسقط ، فاذا سقطت ،
قد يخشى الرجل على سمعة أسرته فيكظم غيظه ويكتم سره وقد لا يكظم ولا
يكتم فيتركها لشأنها فتلحق البنايا .

تجد البنى فى الطبقة الدنيا ، فى الطبقة الفقيرة فى القرى والمدن ، فى
الاكواخ ومهدم الدور والمساكن . وتجد الساقطة فى الطبقة الوسطى وفى
أغلب أسر هذه الطبقة لافرق بين الادارى والقضائى والصانع والتاجر
والكاتب وتجد العاهرة — نعم ذلك تطرف منى ولكنى أتألم من ساقطة تدعى
الشرف وتسب المهرفى بيوت الشرف ، فى صروح العز ، فى قصور الاسر النبيلة .

ذلك حديث ذو شجون يا فتاى اطلت فيه وأسهب ، فان كنت تعبت من
الاصغاء ، فـكللى أمل أن تكون قد تيقنت أنى ان رفضت اليوم فلا بد ان
هناك أشياء لا أستطيع التحدث بها الآن ولكنى سوف احدثك بها بعد

والحرب ، وتزينون معاصمنا بالجواهر ، لتسروا بمرآنا
نبذل جهدنا لمضراتكم وقليل عمالكم لمرضاتنا ، تضايقوننا في كل لحظة
حتى وقت نومنا

ان طلبنا الاختلاء ساءه شاهدنا الكثيرين متتبعين لخطواتنا هذا يشرح
حبه ، وذلك يبت وجده والثالث يشكو لواعج نفسه وكل كاذب فيما يذهب ،
كل يلبس ثوب المداينة ، ويتزيا بزى الرياء ، ويتمر بل بلباس الدهاء ، كل
يسعى لينال بغيته ويفوز بأمنيته ويحظى بطلبته ، مهما ضحي في سبيلها من
مال وجهد ، من كرامة نفس وسمعة اسرة

من هن البغايا

هل هن من طبقة أقل خطرا من الشريقات المحصنات . أهن نساء خلقت
من طينة غير طينة البشر . أهن طبقة مخصوصة قصرت حياتها على البغى
أهن طاهرات من منذ الصغر ؟

أهن يرغبن ان يفسدن في الحياة ويسببن الشقاق والنفور ؟

أهن برضين بالدلة والمسكنة ويوددن تعذيب أنفسهن ؟

من طبقاتكم هن ، هن كاخواتكم وبنات أعمامكم وأقربائكم ، هن

فتيات محصنات غدون ساقطات ، هن امهات صالحات غدون فاجرات

من أسقطهن ؟ وما الدافع لهن على السقوط ؟

الرجل مسقطهن والرجل دافعهن على السقوط ! الرجل سبب عذابنا

يذهب الكثير أن العاهرات فقيرات ، أصلهن خسيس دنى ، والفقير

وحده هو الدافع لهن على خوض هذه اللجة

بودى أن أقول نعم ، بودى أن اجارى من يقول ذلك ، بودى ان أصم

الفقراء بهذه الوصمة ، ولكن الحقيقة تصرخ من أعماق قلبها بأعلى صوتها

وتقول :

البغاء موجود في كل طبقة والساقطات في كل بيئة

آسف أن أقول نعم
أبليق هذا .

فما أنا يا أخى الا غانية وما وعدى الا وعد غانيات والغانية تنتقل من
يد ليد يساومها هذا فتقبل المساومة وتبيعه نفسها بلا ثمن ومن يبذل لها
قليلا تسلمه نفسها

أجل أن للبغايا أصدقاء لكنهم أندر من الكبريت الاحمر أما أعداؤهم
فكثيرون تهافت العشاق علينا فاعجز أن رضى كلا منهم ، لان كلا يدعى أنه
بنا مغرم وبنار حبنا يحرق ولوصالنا يروم ، وشهد الله انه كاذب في ادعائه ،
هو لا يحبنا ولكنه يحب أن نكون له وحده ، يجب أن يستأثر بنا

إن لبسنا ثمين الثياب ، وتحميتنا بكريم الجواهر وطريف الاحجار الكريمة
كنا من ربات الجمال ، فتجدهم يتسابقون بمطايهم ، ويفروننا بما لهم ، وهم
يسيئون من حيث يحسبون أنهم يحسنون ؟ يفسدون من حيث يظنون أنهم
يصلحون

قد يحبنا بمضهم ، وقد يخلص لنا اخلاصاً لا يشوبه شائبة ، وقد يكون
صادقا في حبه ، ولكننا لا نستطيع أن نتنبأ أيهما صادق وأيهما كاذب لان
كلا يتقن تمثيل دوره ، هذا الى اننا لا نحب إلا من يخفق له فؤادنا ! أما
دعوانا لكل فرد اننا نحبه فدعوى كاذبة لاننا لا نقابله اليوم كما قابلنا صديقه
بالامس وكما نقابل ضيف الغد

سنة جرت عليها غانيات الامس ، وتبعتها بغايا اليوم ، وستقفو أثرها
محظيات الغد .

تبدلون لنا كثيراً من المال لانكم تشاهدون اننا نتمتع بفتورنا بالمال
فنطمع وتساعدونا على الطمع ، ونبغى وتماونونا على البغاء ، مثلنا معكم مثل
الكلب مع صاحبه . يطوق السيد رقبة كلبه بالسوار الذهبي ، ليبتهج برؤية
السوار في رقبته ، وانتم تطوقون جيدنا بالماس ، وتغفون اجسامنا بالدمقس .

ما ظننت يوماً أن تهدم آمالي بهذه السرعة ، وان تكون الفترة الاخيرة
سبباً في اخماد حبك لى

طالمت بين أسطر خطابك انك تكاتبين الكتاب بالرغم منك ، فدفعنى
ذلك أن أخط لك هذه الكلمات ، آملاً بعد قراءتها أن تعدلى عن رأيك الاول
ولذا اكرر طلب السماح بزيارتك الليلة بل أرى أنها واجبة والا فلا تحسن العاقبة
وتجدينى فى انتظار كلمتك الاخيرة ما

(حكمت)

طفلى يهددنى بالقطيعة ، والقطيعة لا أستطيع تحمل نتائجها ، يجب أن
أغضب صيفى ولا أغضب طفلى ، لان غضب الثانى يسبب لى عناء كبيراً .
فجلست وكتبت له الكلمات التالية :

الجزيرة فى ١٨ يونيه . . .

طفلى العزيز

سوف أكون وحيدة بعد ساعتين فان تكرمت بزيارتى تجدينى بانتظارك

خالدة

وبعد ان كتبت الكتاب كلفت وصيفتى أن تحمله لطفلى هى نفسها وتبلغه
تحياتى وترجع واياه سوياً

ذهبت وصيفتى ورجعت لضيفى فبادأنى الحديث وقال : عسى خيراً ،
هو كل الخير يا ضيفى العزيز ، يسوءنى أن أنبئك انى لن اكون لك هذه
الليلة ، لأن وصيفتى حملت لى الليلة كتاباً به أنباء محزنة وطبعاً يسوءك ان
تسامر امرأة حزينة ما أسمع أنك ستقول لاني أسر ولسكنى أعتقد أنك
ستنقم علىّ بعد ولذلك أعتذر وأنقض عهدى الاول ،

أجل لن اكون لك الليلة لان هناك ما يشغلى عن مسرتك ،
أتنقضين عهداً أبرمتيه منذ ساعات قليلة .

- لا أجيد كما يجب . وأنت أنجيد العزف ؟

- نعم أجيد كما يجب !

- اذن نجيد عزف (صلاة العذراء)

- لم أسمع به

- اذا لم كنت تسمع به فأنت كاذب في دعواك

- أفصد الادوار الشائمة التي لا تحتاج لمجهود كبير والتي نضربها في

ساعات حفظنا وأنسنا أما (صلاة العذراء) فقليل من يجيدها وقليل من

يعرف اسمها

- اذن تفضل على المعزف واضرب لي أحسن دور تتقنه

- قام شابى السرى وجلس قبالة المعزف وأخذ يعزف أغنية أفرنجية مبتذلة

فقاطعة قائلة :

- لا تغنى أمثال هذه الاغاني المبتذلة

- فقال لي وهو يبتسم

- ليس ذلك عادة نظيراتك

- ان كانت عادتهم كذلك فبئست من عادة ؟ بالله دع المعزف جانبا أما

ان كان يروق لك العزف على هذه النغمة التي لأهواها فاني أنضايق ولكن قليلا

- أتحاشى أن أسبب كدرك فكيف مضايقتك ؟

- شكرا لك

هنا دخلت الوصيصة واسرت في أذني أن خادمي رجع بعد ان انتظر طفلي

كثيرا ولما حضر وقرأ خطابي ، غضب غضبا شديدا وكتب كتابا وقال له

أنه ينتظر ردا له . ولما سألتها عن الكتاب قالت لي أنه في متزيني

استأذنت من الشاب وذهبت لمتزيني وفضضت خطاب طفلي وقرأت فيه مايلي

العباسية في ١٨ يونيه

عزيزتى خالدة

- هذه اهانة منك ولتقدمي اعتذارا عنها
- فان أصرت ولم أفعل
- خرجت دون استئذان
- أنجذ من نفسك دافعاً.
- أصدقك انى لا أجد دافعاً كهذا
- اذا اصفح عنى
- أصفح بكل سرور وأزيد بطبع قبلة حب على وجنتك
- أنطبع القبلة قبل أن تنفذ ما وعدتني به ؟
- آه . القرط الذي شاهدته عند كرامر ، لقد ذهبت اليه اليوم فدفعت
له ثلاثمائة من الجنيهات فأبى أن يبيعه ، فزدته عشرين جنيهاً فأبى فرأيت أن
لا أشتريه .
- ألأن ثمنه باهظ ؟
- بل لانه لا يساوى أكثر من ذلك
- وكم طلب هو ؟
- أربعمائة جنيهاً
- ولذلك أبيت أن تشتريه
- انى مستعد أن أدفع لك اكثر من ثمنه ها هو تحويل بخسمائة جنيهاً
وأظنه برهان كاف لصدق قولى أسمحين لى اطفاء نار قلبى ؟
- ستطقتُها بعد حين
- أقريب ذلك الحين ؟
- أمره موكول لك
- وكيف ؟
- سوف تعلمه
- أرى معزفاً أنجيدى العزف عليه ؟

- لأنى أعتقد أن الشبان تسمى بنات الهوى بهذا الاسم
— ولم تعتقدين هذا الاعتقاد ؟
— لان حبي لم يمنعك أن تذهب لدارك فتنام ملء جفنيك « أناخبيرات
بأمثال هذا الحب المجهد وأنباء هذا الغرام المسهد »
— لا أستطيع محاججتك فى هذا الميدان ؟
— حسنًا تفعل . حسنًا تفعل لانك لست من أهله
— لقد تركت لك هذا الميدان
— أشكرك ، لكن لم تأخرت ومن أين أنت آت ؟
— كنت فى حفلة السباق .
— وخطابى من جملة لك ؟
— خادى بناء على مشورتى
— أظن أن (عنتر) جواد صديقك عامر بك قد ربح الجائزة الاولى ؟
— لا يا حبيبتي ، لم يربح شيئًا بعد ان صرف عليه اكثر من خمسمائة جنيهًا
أظنك تعلمين أنه كان يعنى نفسه بالجائزة الاولى ولذلك لم يحجم أن يدفع ثمنًا
له أربعمائة جنيهًا ازدادت خمسين ، ألا تظنين أنه مجنون ؟ لأن يفرم بالخيال
هذا الغرم ؟
— ان سلمت أنه مغرم مجنون فكيف أعدك أنت ، ان كان هو مجنون
فأنت مقامر أحق . هو يضيع ماله فى الخيول وأنت تضيعها على المائدة
الخصراء . أستطيع أن تحصى ما تخسره لأنى أعتقد أن جسارتك تربو على
خسارته .
— ليس ذلك فى مقدورى ولكنك تعلمين يا عزيزتي أن القمار أصبح داءًا
مزمنًا ، فان مضى يوم لم أيم فيه بيت الميسر تولانى سهد وتفكير طويل
— تقول أن عامر بك مجنون وأقول أنك أحق ومجنون وعامر بك
يفضلك بقليل

ألقاك فتحدثني عما لقيته من الصعوبة في مهمتك الشاقة ؛ لكن المقادير التي
رمتني بكوارثها شاءت أن أكون الليلة في انتظار خليل . أتقبل هذا العذر
القبيح وتؤجل الرياضة للصباح ؟
أنك ان فعلت أسررتني بفضلك
أألى اللقاء في الصباح ؟
آمل ذلك ؟

(خالدة)

وبعد أن كتبت الكتاب رأيت أن يوصل خادمي الخطاب بنفسه فأمرت
وصيفتي أن تكلف الخادم حمل الخطاب لطفى الساكن في العباسية في شارع
حاصم رقم ٣٥ وأمرتها أن تكلفه بتسليمه له نفسه يدا بيد ، وإذا لم يجده
فلينتظره حتى يرجع فان كانت العاشرة ولم يحضر فليخلفه له وليعد أدراجه .
ذهبت وصيفتي لتنفيذ ما أمرتها به وإذا بها بعد قليل تدخل علىّ في
متزيني وتقول

— لقد حضر سعادة حسن بك

— دعيه ينتظري في غرفة الاستقبال

ليقبض الله أمره وعلى أن أتدارك الامر جهدي

دخلت غرفة الاستقبال فاذا بفتاى مرتدياً حلة سوداء فبدأته بالتحية
فقال :

— أسعدت مساء يا حبيبتي

— أأصبحت حبيبة لك ؟

— أنى أعدك كذلك

— أصادق في دعواك هذه

— ولم أ كذب ؟

وفي منتصف الثامنة دخلت على وصيفتي في غرفة الزينة وحملت الى
خطاباً .

ألقيت نظرة على الخطاب أعقبها رعشة تملكت جسمي لأن الخطاب كان
رد طفلي على خطابي الاول

ففضضت الكتاب بيد مرتجفة وقرأت وفيه ما يلي :

العباسية في ١٨ يونيه . . .

عزيزتي خالدة

قبلت شروطك وسعيت في ارضاء أهلي فسافرت لأمهـد سبيل ذلك
واليوم آت من عندهم وسيكون زواج شقيقتي أول مهام الاسرة
سأسعى لدارك بمد منتصف العاشرة أنتظرنيني . . . ؟
فالى اللقاء . . .

(حكمت)

أواه ياربى ! ماذا أصنع ؟ وكيف أنخلص من هذا الصاحب الجديد الذى
طلبت منه زيارتى ؟ وكيف أخلف الوعد الذى أعطيته للسرى الشاب منذ
زمن قصير ؟ لا يخرج لى من هذا المأزق الضيق الا اغضاب أحد الاثنين
فان أغضبت الفتى السرى حرمت من تحفة سنوية وعدت بها ، وان أغضبت
طفلى سبب اغضابى له حزناً ، ان لم يكن قطيعة
أرى أنه لا مفر من الاعتذار لطفلى ولذا سأكتب اليه فأطاعه على السبب
الذى دفعنى أن أوجل زيارته

كتبت له عدة كتب ولكنى اعتمدت الكتاب التالى

الجزيرة في ١٨ يونيه . . .

طفلى

لا يفوتنى أن أشكرك على البشرى التى حماتها الى ، وكم كان بودى أن

بادرة غضب

مضت سبعة أيام على خطاب طفلي الاخير اعترت فيها أصدقائي بادعائي المرض فكان هذا الادعاء سبباً لتمهيد السبيل لمن يود التقرب مني وكان أكثر هؤلاء رغبة سرى صغير تعرفت به منذ ثلاثة شهور زارني في قصرى أكثر من خمس مرات وكان يتوق دائماً أن يمضي ليلة عندي ولطالما عرض على مخالطته ومساكنته في قصره في الضواحي حيث أكون معززة مكرومة فضلاً عما أناله من المال ان قبلت دعوته ولكنى رفضت مرارا لاني لا أود أن أبيع حريتي ازاء بضع عشرات من الجنيهات أتقاضاها شهرياً انقضى اليوم السابع ولم يصاني من طفلي آبة كلمة فآثرت أن اكتب للسرى الشاب الكتاب التالي أدعوه فيه للحضور

الجزيرة في ١٨ يونيه

عزيرى حسن بك . . .

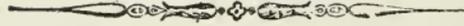
طلبت منى مراراً أن تقضى ليلة عندي وهذا المساء سأكون وحيدة فان استطعت أن تزورنى بين السابعة والثامنة تجدى بانتظارك والى اللقاء

(نوريس)

أمرت الوصيفة أن تكلف الخادم أن يحمل هذا الخطاب لقصر حسن بك فى الحلمية الجديدة ولا ينتظر جوابه

من هم دونك وتحسدى من هم فوقك
تلك هى السنة التى أود أن تتخذها وذلك نصحى أخلصه لك
وسوف تكونين فى القريب العاجل جوارى فاجتهد أن أحقق آمالى
خيك (١)

(١) اعتمدت فى كتابة بعض فقرات هذا الفصل على بعض الكتب
العربية والانجليزية



صدرها وأماظم الألم وتفانقت الغصة لكنها بارغم من كل ذلك تكابر وتماند
وتقول :

لم أخلق لا كون أما !!

لكن فى خلوتها لاتستطيع أن تقهر عواطفها فتذرف مدرارا من الدمع
وتتمزى بممانقة الدمية فتقبلها حر التقبيل فتكاد تقطع خدودها الجمادة
وتتمنى أن تدب فيها الحياة

ذلك يا ابنتى حال من يكتم طائفة الامومة التى هى جزء لا يتجزأ منك
امينى سعادتك وترفيحك فلو كنت شقية طاية تسبين الجرائم ، وتولدين
الشورر أو فاجرة مهتكة تقضين على سعادة أسرة من يتردد عليك فتنترعين
زوجا من زوجه وولدا من من أسرته ما انتقص قدر حبي لك

أود الابتعاد عنك لكن هى الأقدار حالت بينى وبين تحقيق أمنيتى
أكون سعيدة عند ما اشقى نفسى لأسبب سعادتك
أكون مغتبطة عند ما أعذب نفسى لأهيا رفاهيتك
أخشى أن يصيبك المرض بدائه الويل فيفتك بجسمك الضئيل فتك

الذريع

لا المجد ولا العظمة أمنيتى ، لا الجاه ولا السيادة طلبتى ، لا الثروة ولا

الغنى رغبتى

أمنيتى أن أحسن تربيتك وثقيفك ، فأعلمك حسن التصرف فيما تحبى
وتكرهى ورغبتى أن تكونى طاهرة القلب سديدة رأى ، صحيحة الجسم ،
راجحة العقل ، وطلبتى ان تكونى بعيدة عن الكبر والمعجب والمداهنة ،
بعيدة عن الجبن ، بعيدة عن الخجل الذى يذل النفس ويميت الحقيقة ،
بعيدة عن الكذب والجريرة بعيدة عن المداهنة والرياء

أود يا ابنتى أن تعيشى دون ان تبغضى أحد وتحبى دون أن تغارى
من أحد وترتقى دون أن تترفعى على أحد وتتقدمى دون أن تدوسى

يجب أن تشبعي نفسك يا ابنتي بهذه العاطفة وتسعى جهدك لتنميتها في صدرك
انى جد واثقة أنه مهما أشفق الانسان على أى بائس في الحياة ، لا يوازي
اشفاقه على المرأة التى تحن للطفل لأن تلك المرأة تشعر أن طفلها يصرخ فى
أحشائها قائلاً لها :

هبينى حياة ! هبينى حياة !

وكما قطعت سنة من عمرها ، ومرحلة من حياتها ، اشتد هذا الصراخ
وارتفع ، لكنها تضجى كل شىء على مذبح الانفة ، تبتسم بينما فؤادها يقطر
دما ، تسحق شعورها الرقيق ، شعورها السامى الشريف ، وترفع رأسها وتصرخ
بفخار كاذب :

لم أخلق لا كون أما !!

تشاهد فى الجو العذرى المحيط بها الفتاة القميه ، تنتقل للحياة الزوجية
وهى تلبس الخاتم السحري ، الذى ينقلها من حال لحال
لأنابه بكل تلك المظاهر ، وتصصر على الادعاء كذبا وبهتاناً فتقول :

لم أخلق لأكون أما !!

فتاة كهده تدعى وتفترى ، لان كل شىء فى الحياة يحرك فى نفسها هذه
العاطفة ، الاصوات الموسيقية الشجية ، والصور الفنية الخالدة ، والقصص
الاجتماعية المحزنة والروايات التمثيلية المبكية ، لترجم لها بأوضح عبارة أن
الامومة كل شىء فى الحياة

مناظر الطبيعة الجميلة ، السماء الصافية الزرقاء ، والبحر الرهو الرجراج ،
والازهار الجميلة الحمراء ، والاشجار الباسقة الخضراء ، وصوت الرعد القاصف

وضوء البرق الساطع ، كل المناظر السالفة ، تحرك فى المرأة عاطفة الامومة
تراها كلما شاهدت رضيعا ، ونظرت فطاما ، وأبصرت طفلا ولحمت صغيرة
امتعضت وانفجرت الدماء من جرحها المندمل وازداد الاسمى السكامن فى

أمى ، بل نطقت به فى غيابى ، ولما حدثتني بذلك مر بيتهك ، طرت فرحاً
وقبلت فمها الذى هتف به شبيها بهتافك

لم أتيت يا ابنتى فى الحياة ؟ أأرسلك الله لتسبى سعادتى ؟ ومن ذا الذى
ورثك زرقه عينيك ؟ أوالدك ورثكى اياها ؟ والورود الحمراء التى تزين
وجنتيك من أهداها لك ؟ أخلعها عليك الورود الاحمر رمز الحب ؟ وابتسامتك
الظاهرة من منحكى اياها ؟ أزودتك بها الملائكة البررة ؟ وقلبك من طهره
من الشر والاثم ؟ أأصطفاك أنبياء الله ؟ ولم فضلت دار الشقاء على دار الخلود
التكونى لى نعم العزاء ؟ ولم تنازلت عن كنوز الذهب والفضة التى تملكينها ؟
أعلمت أن كنز حى آمن ؟ ولم أتيت هذا العالم متسولة ، تدعين أن لا نصير
لك ؟ الأ بسط عليك حمايتى وأكون لك نعم النصير ؟ كنت حرة فى السماء فلم
فلم فضلت قيود الحياة ؟ أدركت أن فى ثمايا قلبى حب لا نهائى ففضلت أن
تقيدى بأذرع أمك . من أن تفوزى بجزيتك ؟

تجذبين قلبى بابتسامه وجهك الصبوح ، فأرتمى عليك وأقطع وجنتيك
تقبيلاً .

سوف يحدثني الناس فى المستقبل عن هفواتك وزلاتك ، لكنى لن أبه
بجد يشهم .

لا أحبك لطيبتهك ، بل لانك فلذة كبدى . من يرغب أن يعرف قدر
اعزازى لك فليوازن حسناتك بسيئاتك . سوف أسبب ذرف دمعك . لكن
فى اللحظة التى أسبب فيها بكائك ، يشارك قلبى البكاء .

حاطقة الامومة يا ابنتى ، ولدت معى وقت أن ولدت ، ونمت فى صدرى

بنائى ، هى الميراث الذى ورثته أمى ، والميراث الذى أورثكى إياه
أوصيك يا ابنتى الا تكونى من النفر الذى يبذل جهده ، ليجت هذه العاطفة

الشقاء في عيائها ، أحسست بالرغم مني أن الحياة جميلة برآها فصببت كنوز
حبي وعواطفي فوق رأسها الصغير الاصلع وشعرت أن شمس حياتي تشرق
من ثغرها وسعادتي تتدفق من بين أصابعها الصغيرة
لولاك يا ابنتي لكنت حياتي صحراء جرداء ، لكنها بوجودك جنة
فيحاء ، إن أنشودة الحياة التي تمشدها ، تساعدني على احتمال مصائبها ،
وابتسامتك الطاهرة تنسيني الضجر والوجل . وتبعد عني الخوف والزعل . عند
ما أطلب لك طول البقاء ، تبتهلين لله وتطلبين غفران ما تقدم من ذنبي وما تأخر
نظراتك أيتها العزيزة فتقت القلب القاسي فتولد فيه عاطفة المحبة . ولولاك
ولولا نظيراتك لكنت الارض دار حزن وشقاء ، لكنها بوجودكم مهبط البشر
والابتهاج .

قد لا أستطيع أن أصف قدر حبك ، لكن حديثك المملوء بالكلمات
التي لا أفهمها ، يتهج لها فؤادي وألمابك الصببانية ، يرقص لها قلبي
أشاهد الاطفال تلعب من وراء الزجاج ، فأود من صميم الفؤاد أن
تكوني قريبة مني . أسخط على الدنيا وما رمتني به من كوارثها ولسكني عند
ما أراجع نفسي وأحادثها قائلة :
« لقد أنعم الله عليّ بابنة كانت لي العزاء الوحيد ، فكيف حال من لا ولد
لها وهي تتعذب عذابي »

في ذلك الوقت تعود لي طمأنينة نفسي وأعلم أنني بالنسبة لهن في جنة
الفرديوس ، ولولاك لكنت في نار جهنم أتعذب
آه يا ابنتي ! يا فلذة كبدي كم أحن اليك وأشتاق لرؤيتك ، وأعجب لتلك
العاطفة التي تقيد قلبي وتحتم علي أن أذعن لحبك ، ويلذ لي أن أذعن طائفة
مختارة ، فأعبدك لا أحبك حسب

أذكر يا ابنتي أن أمي حدثتني ،، اني أول ما نطقت باسمها المحبوب قبلتني
وقطعت وجنتي تقبيلاً ، لكن الله لم يهباً لي أن تنطق باسمي لأول مرة -

مناجاة ابنتي

« المال والبنون زينة الحياة الدنيا »

قرآن كريم

« السعادة نور ينبع من الحس لنشر السرور ، هي جوهر يسهل الحصول عليه ويصعب الاحتفاظ به ، هي طير ينشأ في وكر المحبة مفتون بالحرية لا يلبث كثيراً في عشه ، هي منبع فياض يهبه الله للانسان ، هي زهر لطيف مربع الذبول ، هي ميراث رضواني باق للانسان منذ عهد أبيه آدم ، هي عقدة لم يتوصل الحـكماء الى حلها منذ عصور عديدة ، هي حكم العقل على لهوى ، هي ظل الوجدان الابدى » (١) هي الامنية التي عللت بها نفسى طويلا وبذلت جهدى لنوالها ولكن الله لم يهيئ لى الفوز بها . حسبت انى سأنالها في الزواج ولكن سعادة الزواج كانت كطيف الخيال ، عللت نفسى بالذرية ولكن الله شاء أن يبعدنى عن وحيديتى بعد أن فجعتى بزوجي واذا بعد قليل يجي كتاب طفلى ميت الامل فى صدرى ويعيدنى بحياة الشرف . وبلقيا وحيديتى زينتى والحياة ، التى ولدتها بين الابتسامة والالم ووضعتها بين الحزن والاسى ، ولما رفعت رأسى من الوسادة لاراها ، ولا قرأ

(١) نقلا عن خواطر الاميرة لصاحبة السمو الاميرة الجليلة قدره حسين

وتعريب الاخ عبد العزيز أمين الخانجي

قد كذب في حديثه لى

أنت تعلم أن لك أسرة ، ولهذا الاسرة شرف يجب أن لا يدنس ، وتعلم
أن لك شقيقة وشقيقة عرضة للزواج - كما علمت - ، ألا تظن أن فعلتك
هذه تمنع طلاب زواج شقيقتك من طلب يدها ؟

ان كان ولا بد من تنفيذ مطلبك ، فليكن ذلك برضاء أسرتك وفي
مقدمتها والدك الكريم ، وشقيقتك الطاهرة الوديمة . وأستحسن أن يكون
ذلك عقب زواجهما ، لئلا يكون زواجي بك حجر عثرة في سبيلها

ولما كان الزمن هو الكفيل أن تزيد وثوقاً من نفسك ، فلا بد أن يكون
هناك فترة لذلك وسأخصك طول هذه الفترة بصداقتى وأجهد أن أخفف
ثقل ديني ، فلا تصيبك حمة الغيرة ان أكرت التقرب من الاغنياء فما تقربى
منهم الا لمنفعتك . أعرف أنك تروم دفع الدين ، لكنى لا أود أن أتقل كاهلك به
ان صادفت شروطى هذه هوى فى نفسك فأسع لدارى تجدني بانتظارك
على أحر من الجمر

وان لم تصادف شروطى هوى فى نفسك فتكرم بزيارتى كصديق لا كخليل
رضاء والدك عن زواجي بك شرط أساسى ، وابنتى قبل كل شىء
ستكون بيننا ما دامت النار التى أعيش فيها قد أطفئت . أتمانع فى ذلك ؟
تروء فى أمرى وتدبر ، ولا تمص أولياء أمرى ولا تتشدد معهم ، بل
كالمهم بالتي هى أحسن وليكن شعارك حسن السياسة واست واضعة نفسى
موضع الناصح لك . لكن ذلك ما يمليه على الاخلاص
وختاماً تقبل خالص تحياتى ما

فائدة

الجزيرة في ١٠ يونيه ...

« طفلي »

لله درك يا طفلي حقاً أنك سليم الطوية نقي القلب ، أنظن انى أشاركك
فى كل ما ذهبت اليه ؟

تقول انك شارب للخمر متردد على العاهرات ، مقتصر على واحدة منهن
ثم محب فتاة لا أعرف عنها شيئاً . هل لا تزال حية فتنافسى فى حبك - ان
سامت جدلاً أنى سأحبك
أعتقد - ويشاركنى الكثيرون - أن من تتجمع فيه الصفات السالفة لن
يخلص فى الحب

ولكن لما كان لكل قاعدة شواذ فهل تحملني على الاعتقاد أنك من شواذ
هذه القاعدة . ان كان ذلك ما تريد ، فأسلم به

لم تحدثنى بشيء عن غيرتك وهل تغار من أصحابهم قبل عهد الزواج
- ان سامت جدلاً أنه سيتم - يظهر لى انك تلتهب غيرة على لانك تقول لى
« أريد أن أختص بك »

ولكن لا أدرى هل نسيت أو تناسيت ابنتى ؟ أسمح لى أن أحبها أو
تغار منها ؟

يخال لى أن فكرة الاختصاص بى مستولية على عواطفك . ولما كان
يسرنى أن أصرح لك أنى أحبك بل أنى أحببتك منذ اللحظة الاولى لندا أود
أن أنتشلك وأختصك لنفسى

أود أن أجاريك فيما تذهب وأصافح يدك الممتدة باخلاص ولكنى أشعر
أن قلبي يحدثنى قائلاً :

« مكانك لا تتقدمي ويدك لا تصافحى بها ذلك الشاب بل دعيه يصادقك
أولاً ثم يتزوجك »

ذلك نداء قلبي وذلك ما أسير بمقتضاه لانى لم أشعر حتى الآن أن قلبي

حياة العهر أشرف من حياة الطهر ، بل لانك تعتقدن أن العاهرة لا يحق لها
أن تتطلع لحياة الشرف مرة أخرى

لا احججك فيما تذهبين ، ولا أبرهن لك على فساد ما تعتقدن ، بل
أحدثك أن كل من تعرفين لا يوافقونك على أرائك هذه

أتحدث الآراء في هذا الصدد انه ان وجدت البغي رجلاً يفقر سيئاتها ،
ويتغاضي عن ذلتها الماضية ، ويتناسى ماضيها المملوء بالخزي ، ان هياً الله لها
ذلكم الرجل بل ذاكم الشهم الكريم — عفواً لست أصف نفسي كذلك —
وكانت تحبه وعاهدها هو الآخر على الاخلاص ، في ذلك الوقت يجب عليها
أن تمد يدها باخلاص و تصافح يده الكريمة

أتبعين يا سيدتي رأى الاغلبية و تصافح يدي و تعاهدني كما أعاهدك ؟
قد تعترضين فتقولين !

« لن أفعل ذلك لاني لست أهلاك ولان الحب متملك عواطفك فان
انتهزت أنا هذه الفرصة ، سوف تـتـدم في القريب العاجل ولا أضمن أنك
لا تهجرني فتتركني عرضة للمقادير ، بعد أن اكون قد نعمت بعيش الشرف
ردحاً . »

أعاهدك يا سيدتي عهداً شريفاً اني لن أركب هذا المركب ، وباستطاعتي
أن أفي جميع دينك لان لي مهنة ندر على بالخير وأن أقدم لك نفسي واسمي
وتفضلي يا حضرة السيدة بقبول خالص الاحترام ما

« حكمت »

رأيت أن أنتظر يومين في نائمهما أسطرله رأبي خوفاً من أن أتأثر بكلامه
فأحيد عن الصواب وفي اليوم الثالث كتبت له ما يلي :

يكفيني أن أعرفك انى من اسرة لم تعرف بالغنى بل كان لدينا ما يكفيني
أن يحسن والدى تربيتنا — أنا وشقيقتى — أرتي تربية فأنا كما تعلمين خريج
الحقوق ، ولما تخرجت خيرنى بين العمل فى دوائر الحكومة أو أحترف مهنة
المحاماة ، لكنى فضلت الثانية لاني لا أحب القيود الحكومية

لم أحترف المحاماة على الفور ، بل رأيت أنه يحسن بى أن أفضى ردحاً من
الوقت أمتع نفسى فيه عقب زمن الدراسة الممل ، حتى أستطيع فى هذه الفترة
أن أجدد قواى الضائمة ، أعرف أن رأى هذا يخالفنى فيه الاغلبية الساحقة
لكن ساعدنى على تنفيذه فضلة من مال خلفته لى والدتى

نشأت كما ينشأ الكثير من طبقى ، فكنت من المترددى على البغايا لكنى
كنت أقتصر على واحدة منهن ولزم التردد على البغايا شرب الخمر ولكن ...
فتاة كريمة انتشلتنى من هذه الحياة الممقوتة ، أحببت هذه الفتاة وأخلصت
لها الحب لكن الظروف لم تساعدنى الزواج بها. يكفى ما صرحت لك بشأنها لاني
لا أستطيع أن أصرح لك بأكثر مما صرت ؛ دعى الامور تسير فى طريقها
فسوف اكشف لك سر حى

لا يتسرب لذهنك انى لا أحبك ، فاياك أن تخافى من هذه الحبيبة فهى
لن تناوأك .

يسرنى أن أصرح لك انى أحبك الآن اكثر من حىي للحبيبة الاولى
ولكنى أرجح أن السبب فى ذلك لتشابهكما العظيم

لقد انتهيت من الحديث عن نفسى وسأتبعه بما آمله منك
أريد أن أن أختص بك ، لا أريدك محظية ، ولا أطلبك خديلة ، بل أطلب
يدك لاتخذك زوجاً لى

سوف أبذل جهدى لاخفف همومك ، ولا أسعدك فى الحياة .
قد تمترضين على حديثي هذا فتضعين العراقيل فى هذا السبيل لا لان

لست محدثك عن الشيخ الكريم ، الوزير الجليل ، الذي وهب ابنتك ما يشكر عليه ولا عن وعوده الطيبة الجميلة التي أثق أنه سيفيها لان صفحته نقية طاهرة ، وسعته لتخفيف الحكم الاجنبي عنا مشهور معلوم ، فان كنت لم أذكر اسمه لخديثي يتم عن شخصه

لست محدثك عن نفسية الملتفين حولك من شبان ورجال ، من أغنياء وعظماء ، أولئك المتهاقنين على جمالك وملاحظتك ، الملازمين لك كذلك . أعرف ما يطلبون ولم تهافتون ؟ ولم يكثرن من الهدايا والتحف ؟ ولم يلحون ويلحفون ؟ أنهم يعجبون بجمالك وملاحظتك ، يعجبون بارتدائك ثمين الثياب التي يهدونك اياها ، يعجبون بك ان تحليت بنادر الحلى وثمين الجواهر ، يعجبون بك لانك تضرين على النعمة التي يحبونها ، يعجبون بك لانك تتمنعين وتتدللين ، يعجبون بك - وحق لهم أن يعجبوا - لانك تختلفين عهودك وتناقضين وعودك ، ولانك أصبحت محظية العظماء والامراء من أغنياء مصر ونزلائها

أنى أتقد غيرة عليك وأخش أن يضع هؤلاء المفسدين حداً لطهارتك أخشى أن يصيروك شيطانة رجيمة لا أطلب منك مستجيلاً، ولا ألتبس ما لاقدرة لك عليه ، أود أن تحبيننى بعم الحب وأنت أعلم بكامة (الحب) التي أرددها هياً لى سبيل مساعدتك قدر الامكان ، دعيني أخفف بعض أحمالك الشقية .

قد تعترضين وتقولين

« ما بال هذا الشاب أغفل حديثه عن نفسه بل حدثني عن حبه فقط ، أجل تملكتنى العاطفة فأنتنى الواجبات ؟ فلاعود لخديثي عن نفسى . لست محدثك عن أيام صباى ولا عن معيشتى فى الايام التي تعد دائماً فى حياة الانسان أسعد أيام حياته بل أرى من المستحسن أن أحدثك قليلا عن والدى واسرتى

العديدة التي مكنت في نفسى حبك

أحبيتك منذ أول يوم قابلتك فيه أحبيتك منذ راقصتك وكانت القبله التي وضعتها على جبينك هي تقدمه محبتنا وشجعتني على السير في سبيل عطفك على واستسلامك لي وكنت كلما عطفت زدت أملا واطمأنت نفسى بهذا الحب الجديد حدثني قلبى أنك سوف تحببني واعتمادا على حديثه استمررت في حبك

لحأت لكتابة هذه الرسالة بل هذا الاعتراف الخجل لافصح لك عن أمور ستحدثك بها الناس بعد ، ان لم تكوني سمعت بعضاً منها ، وقد يكون ما نقل لك على غير حقيقته فلا كفيك محاولة الدوال ولا كفي نفسى مشقة تحضير الجواب ولا سيما قد لا أحسن الاجابة أو دحض الافتراءات الذي يتهمونى بها ، ثم استطرذ بعد ذلك لم آمل منك أن تجيبني عليه ، ثم تقديم نفسى وقصر حياتي على تهيئة سبيل سماعتك

لست محدثك عن أصلك وفصلك ولا عن اسرتك المجيدة لاني علمت أنك لست عاهرة كما تدعين ولا أفرنجية كما تذهبين علمت أنك مخلصه جيد الاخلاص واخلاصك جرك للدمار ، علمت أمر ذلك السافل الدنيء ، ذلك النطاسي النذل ، علمت كيف اضطرك أن تدعى لارادته وتنفذى مطلبه علمت كيف قاذك لهذه المعيشة وكيف حسن لك طريق الشر المملوءة بالاشواك وكيف أعانك على قرض المال وشراء ثمين الاثاث ، حتى غدوت مثقلة بالدين ، ولا مناص من أن تحترفي هذه الحرفة لتبني ثقل دينك علمت كيف ينتمز هؤلاء اللصوص المرابين الفرص فينصبون لك الشباك ويقدمون لك ما لهم بفاحش الربا يتمسكون حتى يتمكنون ، فاذا ما قبضت ما لهم حاسوبك حتى على أنفاسك التي ترددينها فان تأخرت عن الدفع هاجوا وماجوا وأنذروا وهددوا وقدموا طلبات جديدة ولا مناص لك في هذا الوقت من أن تدعني لم يطلبون من فاحش الربا

حديث الشب عن نفسه

تردد طفلي على كثيراً ولكنه طول هذا الوقت لم يبيح لي بحبه ولعله خشى أن أسفه كلامه وأضرب بأمانيه عرض الحائط ، فلجأ لقلمه لما أعيته الحيلة وسطر لي خطاباً طويلاً ، هو أشبه باعتراف منه بخطاب قرأت ذلك الخطاب كلمة كلمة ، قرأته بامعان ، وكثيراً ما عدت بعض فقراته ، ويسرني ان أن أصرح اني كنت معتبطة أثناء قراءته ، كنت مسرورة وسرورى هذا يعادل سرورى عند ما أقرأ كتاباً دينياً يهدي للخير ، أو حكماً مأثورة تنير طريق حياتي . كيف لا والكتاب أضاء طريقى المظلم استطعت أن أستنتج أن كاتبه كتبته باخلاص ، كتبه باخلاص لانه يعترف اعترافاً لا يشوبه كذب أو تضليل ، يعترف بصراحة كأنه امام قاض عادل يعترف بصراحة لانه يريد أن ينصفه ذلك القاضى العادل فيريح ضميره لاحظت أن صفحات الكتاب الاولى كتبت بروية وخط جيد ، أما الاخيرة منها فباضطراب وسرعة وقد لاحظت أن بعض أسطره يصعب قراءتها ولعل ذلك راجع - على ما أرجح - لدموعه الزكية التي كان يسكبها

واليك الرسالة الضافية

العباسية في ٧ يونيه . . .

الآنسة نوريس

يحمل لك رسولى النسيم سلام اخلاص وتحمية ولاء وبعد
مهما كتبت أراني عاجزاً أن أصف قدر اخلاصي لشخصك بعد الزيارات

- آه نعم هناك الطلاق ولكنى لا أستطيع
- ولم؟

- لان الطلاق فى امرتنا طار
- والفساد شرف؟

- هو الواقع

- لله أنتم معشر النبلاء أسأتم من حيث أردتم الاحسان

- هون عليك يا صديقى أرجوك أن تكون وسيطا بيننا سرى عنها
هما، عدها مواعيد خلايه ، منيها برغد العيش فى المستقبل ، حدثها : انى
سأنوب لرشدى ، وأرجع عن غي ، وأعرف قيمة زوجتى ، اجتهد أن تسكن
نفسها الثائرة ، أنك ان فعلت ذلك نلت من الله الجزاء ومنها العطف ومنى
الشكر

- أتقصد أن أمنيها أمان كاذبة وأعدها وعوداً لا تتحقق وأصور
أمام عينيها المستحيل بصورة الممكن أتريد أن أصورك لها ملاكاً كريماً تغرم
بلعب الميسر لا بالعاشرات

- هو ما تقول يا صديقى

- انى ان حاولت أن أعمل ذلك لا أضمن لك النتيجة

- جزيت خيراً

وهكذا مهد لى سبيل مصاحبته وتلك قصة محاللى

لم أستطع أن أسمع أكثر مما سمعت فاستأذنت من سمو الامير وبعد
اللتيا واللى أذن لى ذهب لى لمنزلى وهناك اعترتنى حمة شديدة من هول ما سمعت
من هول الحديث الذى لم أفكر لحظة أن مثل هذه الاعمال الشائنة تحدث
فى قصور كبارنا والآن وقد علمت فلا عجب

لكن تعلم يا صديقي أن حليلتك أنبل من محظيتك فضلا عن أنها أشرف
وبطريق آخر يصعب على أن أقارنهما

- ذلك حق ، ولكنني أصدقك القول أنني تزوجت زوجتي ارضاء لاهلي
وما كنت راغب في هذا الزواج ، كنت أود أن أفضي حياتي مع من انتشلتها
من حياتها المملوءة بالاثم ، كنت أود أن أسعد هذه الفتاة التي أحببتي ، حباً
قديم العهد ابتداءً من زمن طويل ، منذ كنت طالباً في المدرسة الثانوية وطبعاً
تعلم أنني مهما كنت غنياً فإن مرتبي كان محدوداً فكيف أخلفها الآن وقد
أصبحت في يسر؟ بل كيف أبخل عليها؟ كيف أتركها للشأنها؟ هل يليق أن
أفعل هذه هذه الفعلة؟ أيليق أن أترك امرأة لا نصير لها؟

- ان سلمت أنك محق فيما تذهب فلي سؤال أقيه عليك . أتعدني بجواب
صریح له

- نعم أعدك

- أ كفرت من تحبها عن ذنبها ورفضت كل من يتردد عليها أم لا تزال
طاهرة؟

- حتى اللحظة لا تزال . . .

- نعم ! نعم ! فهمت هي لا تحبك لكنها تحب مالك ، ولذلك تؤترك
على عشاقها ولكنني أصارحك أن لزوجتك عليك حق ، يجب أن تقيه لها والى
اضطرت هي الاخرى أن تسلك طريقك ، أنت تصطرها للفساد وقد يساعدها
أصدق الناس لك على ارتكاب هذا العمل وكما تزرع تحصد

- أهزل أم تجد؟

- ولم أهزل؟

- لاني لا أظن أن زوجتي تفعل ذلك

- لو كانت زوجتك ملاكاً لفسدت . هناك طريق آخر يخلصك منها

ويقربك من محظيتك هناك، الطلاق

سأفشى لك بعض سرى عمالك بذلك تستطيع أن تساعدنى على اصلاح حال زوجى التى أصبحت تفرار على جد الغيرة .

فقلت له وأنا أجهل الحقيقة ؟

كنت أظن يا صديقى انك سعيد كما يجب ، فاذا بجديتك ينهم عن تعاستك ولكن لا أدرى من منكم سبب هذا الشقاق الطفيف ؟ أعرف زوجتك جميلة وفى الوقت ذاته سرية وأزيد أن أخلاقها رضية لا بأس بها ، فأظن أنها لا تسبب الشقاق ولذا اعتقد أنك أنت نفسك سبب هذا النفور .

— لا ! بل هى مسببة النفور .

— ولم تسبب النفور ؟

— لان حمة الغيرة تصبها .

— وممن تفرار ؟

— من خليلتى .

— ومن خليلتك ؟

— هى . . . سنية . . . هى من أحبها من خمسة سنوات ، هى من أتردد

عليها ، هى التى اختصصتها لنفسى ، هى من رفضت كثير من المترددارضاء لى

— عاهرة هى ؟

— نعم .

— ولم لم تتزوجها ؟

— لأنى أسرتى ابت زواجى بها

— أنى أعرف محظيتك وأقول . . . وتشاركنى القول . . . أن زوجتك

أجمل منها

— نعم هذا حق . لكن الحب ، الساحر الجميل ، القديس الطاهر أعمى

بصيرتى ، لقد أسرتنى عينها المسلميتين ، وفتننى شعرها الاسود الحالك فصرت

لها ذليلا وفضلتها على قرينتى

مضجها من شهر زواجها الاول فأحبته انى سوف أعود لمصر بعد ثلاثة شهور عندما انال الشهادة .

مضت المدة وعدت لوطنى المحبوب وكتبت لها كتابا ثانى يوم وصولى انبئها فيه باوبتى ، وفى غد اليوم الثانى لتاريخ الكتاب زارتنى هى نفسها ، فأثرت هذه الزيارة فى نفسى اثرها المطلوب فترددت على قصرها ومهدت لى سبيل مصادقة زوجها .

يحد ربى ان احدتكم ان الفتاة منذ أيامها الاولى من النشأة الجديدة ، النشأة الأفرنجية ، النشأة التى نصف كلامها فرنسى والنصف الآخر (عربى وافرنجى) ، النشأة التى اعتادت عادات الغرب الضارة والنافعة منها ، النشأة التى تفخران يكون لها كثير من المعجبين بها المتهافتين على جمالها الملازمين لها فى الغداة والعشى .

أما زوجها فن ذلك النفر الذى يقضى نصف نهاره الثانى نائما وليله ساهرا ، من النفر الذى يتردد على المخطيات لا الشريفات المحصنات بل العاهرات الفاجرات .

لم تكن تجرأ أن تحالل لأنها خشيت الفضيحة والعار ولما كنت صديقتها منذ عهد بعيد والدها يعلم بصداقتى لها ، لم تجد بأسا ان أصبح خليلا لها . وكم حدثتني مرارا بسعادتها وغبطتها وشكرت الظروف التى هيأتني لمسرتها .

ويظهر ان تكرر زيارتها ولد فى نفسى الحب فأحببتها ومنذ تلك اللحظة سمعت جهدى اما ان استخلصها لنفسى أو أرجع لها زوجها . فأوعزت لها ان تضايقه عماه يرعوى بذلك أو يتبرم فيطلقها . ولما ضاق ذرعه منها فاتحنى بأمرها فقال لى : --

-- سمعت يا صديقتى انك كنت صديقا لزوجتى أيام تلمذتها ولذلك

تلك قصتي يا اخواني واصدقكم الحق أنى حتى اللحظة لم اخنها وعازم ان أبر بوعدى .

فقال . احداخوانه

— تستطيع ان تبر بمهد شديد كهذا .

وهنا اعترض للجواب صديق شاب فقال :

نعم يستطيع ، كما استطعت انا ان استخلص لى زوجة صغيرة ويسرنى ان احديثكم يا اخواني انى مسرور بالمعيشة معها لأنى قضيت معها الآن اكثر من سبعة شهور ، وعازم ان استمر فى هذه المعيشة اللذيذة .
هنا قال أحدهم !

— نعم . أليست عصفورتك هى كوثر . . . هانم زوجة وكيل النيابة . .

تحسين بك . .

— نعم هى ! هى ! أو ليست جميلة ؟

— فقال أحدهم

— أنها لقاتة

— وقال آخر

— بالله حدثنا كيف استطعت ان تأسر هذا الغزال الشارد ؟

— حقاً انكم أغبياء يا أصدقائي . كنت أعرف هذه الفتاة منذ عهد

الدراسة . كنت صديقا لها وكثيراً ما تقابلنا بصرحنا أحيانا وبقصرها اخرى ولما أرسلنى والدى لأوروبا لأنتم دراستى ، تعاهدنا على الزواج ، وأخذت هى تراسلنى ولكن قطعت المراسلة لأنى أحببت هناك فتاة اهتنتى عن مراسلتها ، ولما سمعت انها خطبت من فتى لا تحببه رأيت ان استعمل هذا الظرف الجديد لاجد العهد لمراسلتها ، جددت العهد وعاهدتني ان تمهد لى سبيل صداقة زوجها ليتسنى لى التردد عليها ، ومنذ عهد قريب بعثت الى بخطاب تحثنى فيه على الاوبة لأنها حزينة بأسة لاسيما وزوجها كان هجر

يرتكبه أحد من أفراد اسرتى انى ان فعلت ذلك دنست شرف هذه-
الاسرة بالعار .

لم يستطع ابى بعد هذا الحديث الصريح ان يفتاحه فى شيء من ذلك
— وليكن بالله حدثنى اليس زوجى به وس فى عقله ؟

— وليكن لما عجزت أن أجاب السؤال ، تابعت حديثها قائلة

— تخش ان تقول نعم ، تخش ان تقول زوجى ابله لانه يعتقد أن
الطلاق يدنس شرف الاسرة أما فساده فلا يدنسه ، الفساد الذى يصبح
ويعسى فيه لا يصب هذا الشرف بوصمة العار ، لكن الطلاق يصبه .

ومع ذلك رأيت أن اتابع الصبر ولما نفذ صبرى ، ولم يأخذ والدى
بنصرتى ، فضلت ان افسد فساده واخالل كما يخالل ، رأيت ان اعمل ذلك
جهره أمام جميع الخدم عسى ان يحدثوه بسر نفسي فتصديه حمة الغير
فيرجع عن غيه .

كنت أواعد كثيراً من خلابى فى قصري ولكن لا أدرى أأصبح
لا شعور له حتى انه يتغافل عن ذلك أم انه لا يعرف شيئاً من سرى
حتى اللحظة

سرت فى طريقى الجديديستين تنقص عدة من الاسابيع ولكن اصارحك
انى شعرت الآن بملل من هذه المعيشة ، وفكرت مرارا فى الانتحار لكن
طفلى حبيب لى الحياة .

فقلت لها وأنا متأثر من كلامها . . . —

لو استطعت لا اتخذتك زوجة شرعية فان فاتنى الزواج الشرعى فلا يفوتنى
اللاشرعى ، لا تفوتنى المخاللة الشبيهة بالزوجية . ولكنى أعدها الزوجية فان
قبلت طلبتى فانى اعاهدك ان ابر بوعدى حتى آخر لحظة من حياتى
— شكراً يا عزيزى ، لا أطلبك البر بوعدك لكن أعدك انى سأبذل
جهدى لاختصك لنفسى ، سوز اعالمك كزوج وسأرى ماذا يكون من أمرك .

أعتقد أن زوجي يعطف علي ويخلص لي الحب ، ولكنني علمت ويحزنني اني علمت بسرعة ، علمت أن زوجي لا يحبني وانما يحب ملاحتي ، وما كلماته المذنبه التي فاه بها الا الاحاديث التي تعود أن يجامل بها خليلاته .

لم يمض على زواجي اكثر من شهور ثلاثة حتى هجرني زوجي فكنت لا اقبله الا ضحني فصبرت على مفض ، وشرعت من طرف خفي ارجاءه عن غيه ولكنني اخفقت وأخيراً التجسست لمهنة التجسس الدنيئة ، التجسست لهذه المهنة لاعرف من هن خليلاته ؟ وهل عاهرات هن ام شريفات ؟ وان كن من المحصنات فلمن ينتسبن ومن هن أزواجهن ؟

علمت أن خليلاته متنوعات فبعضهن عاهرات والاخریات زوجات وفتيات .

أرسلت لهؤلاء الخليلات الرسل والوفود وأعلمتهن بامري ، لكن ذلك كله لم يجد نقماً .

لجأت بعد ذلك لتأنيبه لكنني اخفقت لانني كلما انبته ازداد فسادا ولما اعيتني الحيل فاتحت والدي في أمره فقال بعد ان بحث ونقب وتحقق صدق قولي :

— سيرجع لصوابه بعد حين ، فيثوب لرشده ويثوب لمنزله ويقدر ولده الوحيد قدره .

صبرت دون جدوى وأخيراً فاتحت والدي في أمر طلاقه فلم يصغ أولاً لندائي ، لكنني عندما كررت الطلب وتحقق انه من المستحيل صلاحه فاتحه في الامر فقال له .

— سأرعوى .

ولكنه لم يبر بوعده بل كرر خطأه ولما كرر والدي الطلب ازداد إصرارا وعنادا وقال .

— لن أفعل هذه الفعلة ! أطلق زوجتي ؟ أأرتكب العمل الذي لم

- أتزوج السيد غيرك؟

- نعم ولا

- كيف؟

- لم يتزوج زوجاً شرعياً بل خلال عدة خليلات من ربات القصور

- أعتقد أنه مخطئ فمن ذا يكون زوجه هذا البدر ويخالل امرأة أخرى؟

- ذلك رأيك في وهو رأي زوجي في أوائل أيام زواجي . ولكن

حدثني ألك زوجة؟

وهنا والحق يقال خجلت ولكني قلت :

- نعم زوجة ريفية

- ولم تخونها؟

- لانها ليست جميلة

- أتخالف؟

- أقسم أنها كذلك وأزيد أنها مهملة

- لا بأس ان كان ما تذهب اليه هو السبب الذي يدعوك لذلك فلك بعض

عذر ، أما أنا شخصياً فلا أوافق على هذا الرأي ، لك زوجة فيجب أن
تخلص لها .

- واذا كانت قبيحة؟

- ولم تزوجتها ان كانت كما تدعى

- لانها غنية

- اذا تجرى وراء المال .

- نعم لان عصرنا أصبح مادياً : فكل يجري وراء المال ومع ذلك دعينا

من هذا الحديث ولنتحدث عن الحب

سمعت كثيراً من هذه الكلمات العذبة أيام زواجي الاولي ولم كنت

أسر لمثل هذا الحديث لاني كنت أعتقد أن زوجي صادق في حديثه ، كنت

تعملون يا اخواني انى كثير التنزه فى الجزيرة وذات أصيل شاهدت فاتنة
جميلة راكبة سيارتها ومنتحية مكاناً بمنزلاً
أوقفت عربتى بالقرب من سيارة الفاتنة وسددت نحوها نظراتى ولم
أنتظر الا سبع دقائق حتى شاهدت سائق سيارتها متجهاً نحوى
نزلت من عربتى وبدأته بالتحية ثم قلت :
- ألا من سبيل لمحادثة الهانم ؟
- هناك سبل عدة يا سعادة البك
لاحظت أنه يريد رشوة فنفتحته جنبها ذهباً فقال على الاثر :
انى ذاهب يا سعادة البك لاستئذانها
لم يغب أكثر من خمسة دقائق حتى عاد ثانية وهو يقول :
- سيدتى بانتظار سعادتك
- اذا اذهب لسائق عربتى وحدثه انى أمره بالجوع
ذهب الحوذى لينجز مهمته وسددت أنا خطواتى نحو سيارتها
فتحت باب العربة بعد ان بدأتها بالتحية المعتادة فى مثل هذه المجالس
وبعد ان ردت علىّ بأحسن منها أمرتنى بالجلوس جوارها ، جلست جانبها
وأنا أحسب ألف حساب للمقدمات والنتائج ، وأحدث نفسى قائلاً :
الى أين اذهب وأين تقودنى قدماى ؟ أالى الخير أم الى الشر ؟
بدأتنى السيدة بالحديث فانقذتنى من هذه الورطة فقالت :
- من السيد الكريم ؟
أسرعت فقدمت لها بطاقتى ولما تناولتها وقرأت اسمى قالت :
- أظن السيد زار قصرنا مراراً ، وتفضل بتناول طعام الغداء على مائدتنا
دفعات ، آخر دفعة كانت منذ خمسة أيام
- أظن السيدة من قصر الوجيه . حسن باشا
- نعم انى زوجته وأم ولده الوحيد

شكراً اذهب أما أنا فساتحى مكاناً منفرداً أراقب فيه الجمع عن كئيب

جلست في مكان مظلم ، بالقرب من جماعة من الاصدقاء ، من النفر الذي يتعاون على الفساد ، والبغى ، والاثم . وكان ذلك مكون من خمسة من الاصدقاء عرفت منهم ثلاثة ، أحدهم شيخ سري عجوز ، والثاني قاض من القضاة في العقد الثالث من عمره ، أما الثالث فشاب من أبناء الاغنياء ومن خريجي كليات سويسرا ، أما من جهلتهما فلا أظنهما الا من حاشية الاغنياء لانه فضلا عن أن ثباهما تم عن ذلك فقد شاهدت أن أحدهما كثير الكلام ، والآخر يؤمن على ما يقول ويستدركه في الحديث ان نسى بعض الشيء

تباينت أعمار هذا النفر واختلفت درجاتهم، لكن غايتهم اتحدت فكلمهم محب للفساد يسعى له جهده

جلس الاصدقاء الخمسة على خوان واحد وشرعوا يرفعون الستار عما ارتكبوا من الفظائع ، وما اقترفوا من الكبائر ، وما جنته أيديهم من الجرائم تكلم أكبر الجالسين سناً وكان كهلاً في العقد الرابع من عمره وهو من كبار الاغنياء إلا أنه شحيح بخيل ، لم أسمع أنه عضد مشروعاً وطنياً ، لكنه يصرف من غير حساب على ملذات نفسه .

قال ذلك الكهل وعلامات الفوز مرسمة على جبينه

— أعلمتم ما حدث لي ؟

فقال أحدهم وكان شاباً في مقتبل العمر ويظهر من ملبسه أنه من الوسطاء

الذين يرافقون الاغنياء

— لا لم نخط بذلك عاماً

وقال ثان وكان رجلاً في الثلاثين :

— أوفقت لصيد ثمين ؟

— هو ما تقول يا أخي

أنى أحبك ولكن فى مقدرتى أن أقول أن لك فى نفسى مكاناً سامياً .
لقد كذبت وتجاهلت معرفتك وادعيت أنى لا أذكرك ولا أذكر اسمك
مع انى قد اخترتك للرقص معى وجالستك بعد الرقص برهة وتجرات أنت
فقبلتنى . ومن تلك اللحظة فهمت كل ما تضرر فهمت أنك أخذت تحببى فعملت
لك ورثيت لحزنك والحزين يميل لنظيره

لا يتسرب الى نفسك انى أحببتك فتعد هذا منى وعداً بذلك فانى فضلاً
عن انى لم أنطق بها ، لا أستطيع ان نطقت بها ان أحافظ على عهدى
أى طفلى .

تقول انك تحببى فان كان ذلك حقاً فأنت تود أن ترانى كثيراً . وتود أن
تتردد على دارى وقد أسلفت لحدثتك أن لك فى نفسى مكاناً سامياً ولذلك
سأعدك منذ الآن صديقاً ولكن حذار أن تمنى نفسك أكثر من ذلك .
حذار أن تجارى أحلامك فتظن انى أصبحت لك وانك قد خدعتنى بالفاظك
المذبة فاقنمتنى بما قلت ؛ اقنع بالمركز الذى وضعتك فيه ولا تسترسل فى
الأحلام ، انك ان فعلت عضضت بنان الندم . لا تسترسل فى حبك الذى
تدعيه بل اجتهد أن تساعد الدهر على اطفاء لهيبه ولتلاحظ انى لن أكون
لك أسيرة يوماً .

قد تقول انه سيأتى يوماً ما أحبك ، فان كان ذلك حق فانما هو حب التمس
به التعزية والسلوى لنفسى .

سأخصك أخيراً بمكرمة قلما خصصت بها أحد — حتى الآن — تلك
المكرمة هى وعدى لك أن أقابلك حين تشاء وستنتزه سوياً بعيدين عن هذا
العالم المملوء بالشر والانم .

والآن اذهب بسلام فانى أخشى العتاب والملام ولتستعن على حوائجك
بالكتمان والى الغد عصرأ فى منزلى

ان كان ذلك ما تأمرين به فأنا لامرك خاضع

وبعد ذلك أقبل أحد الخدم وطلب محادثة الامير فاستأذن سموه وذهب

— لاحظت أن وجه الاستاذ حكمت تهلل بالبشر فتابع حديثه قائلاً :

— أتعلمين يا سيدتى انى أحببتك منذ رقصت معك وانى أعد الدقائق

القليلة التى تكرمتى بمجالستى فيها أسعد لحظات حياتى

— أنت تعتمد ذلك لانك شاب كريم ولكن ألسنت مغالياً فيما تذهب؟

— لست مغالياً . فانى منذ اليوم الذى قابلتك فيه أفكر فيك وفى الطرق

التي توصلنى لانال رضاك وأكشف سر حزنك الذى تجتهدى أن تخفيه

— لست حزينه ولا بأسة بل أنا فرحة مبرورة كما يجب ، أصحاب

سريا فان ملته خاللت آخر وهكذا تجدى كالعصفور أنتقل من شجر لآخرى

ولا أقع الا على الشجرة التى أحبها

— أجادة فيما تذهبين؟ أظن ! لا . بل أؤكد أنك لا تتكلمين الحق

بل تمارين

يخيل لى يا طفلى الصغير - ولتسمح لى أن أخطبك بهذا الاسم لاستصغارا

لشأنك بل اعزأله - أنك تتكلم الحق وتنطق بالصواب ومن ذلك يتبين

لى أنك كثير التردد على المحظيات ولكن أوائق أنى أحبك ؟

ذلك ما أمنى به نفسى وأعد اليوم الذى أسمع من فك كلمة أحبك أهناً

أيام حياتى - بل وقت بزوغ شمس سمادتى وهنائى

لكن أعلم أن معشرنا قد ابتذل الحب فبعنه بالثمن فهن يجيبن بالصناعة

لابلفطرة ،

— أعلم ذلك ولكن بالرغم منه أحبك من صميم القلب .

— عواطفك النبيلة جديرة بالاحترام وأنت خليق بالاكرام لكن أنظنى

أخلص لك الحب ؟

— ذلك ما أنتظره وأكتر منه أنتظر .

اسمع ياطفىلى : سأكشف لك عن الحقيقة : أنا لا أستطيع أن أقول -

قد يلتبس لها العذر لو كانت جميلة ولكنها كما ترينها لم يهبهما الله قسطاً كبيراً من الجمال وكل الشبان يأبون التقرب منها لانها فضلاً عن انها ليست جميلة فهي تمجّب بنفسها كثيراً وتندل على المتقربين منها .

وبينا نحن في الحديث اذ اتى ذلك الشاب الذى شمعت بالميل له ويظهر ان سمو الامير كان قد كلفه بمهمة فأتى ليعلمه نتيجتها بدأنى بالتحية وعلامم الاضطراب بادية على وجهه وهنا قال سمو الامير

اتذكرين يوم دعوتنا لقصرك ؟

وكيف لأذكره وفي اليوم المذكور تشرفت بعرفة سموك ؟
اذا تذكرين ذلك الشاب الذى كان رابع مراقبيك فى حفلة الرقص
أظننى لأذكره — وهنابطعاً تعمدت الكذب لان ذكره لم تبرح مخيلتى —

فقاطع الشاب حديثنا قائلاً

أظنك خاطئة فأنى تشرفت بعرفتك قبل اليوم

فقلت ودلائل التفكير مرتسمة على وجهى

قد يكون ولكنى لأذكر ولقد تعرفت منذ ذلك اليوم بكثيرين غيرك
فقال سمو الامير

— اذاً أقدم لك للمرة الثانية الاستاذ حكمت

— وأما أنت يا حكمت فأظنك لا تجهل الآنسة نوريس

— لى الشرف أن أعرف بك يا حضرة الآنسة للمرة الثانية

— عفوا يا حضرة الاستاذ فلست الاحظية

كفى ؟ كفى ! انى أقرأ فى محياك كرم الطبع ونبل الصفة

— ذلك رأيك فى الا أن الكثيرون يخالفونك فيه — وأنا أشاطرهم

المخالفة .

— أنت ورثة جميلة وسط الاشواك لذا تتحدثى دائماً عن نفسك بالسوء

أفش عن سمو الأمير فإذا به جالس على كرسي كبير وعن يساره فتاة إفريقية
وشيقة وعن يمينه امرأة متوسطة الجمال يظهر لي أنها شرقية
بدأت سموه بالتحية فقام وصاحني مصافحة الصديق . وقدم لي كرسيًا
لأجاس قبالته ولكني اعتذرت ولما شاهد امتناعي عن الجلوس قام واصطبحني
لمكان منفرد وامرني بالجلوس

جلست لكنني ابتدأت الحديث قائلة .

ماذا يريد سمو الأمير ؟

اتي اريد الاختلاء بك قليلا

ذلك ما ارومه . لكن ايلق وسط هذا الجمع الحاشد فضلا عن ان سموكم
لم يستأذن من السيدات اللاتي كنتم تجالسونهن ، والآن تجدونهن قد حقدن
على لاني انتزعتكم من بينهن وانا لا اود ان ارى فرداً حاقدا على فان كن
عشيقاتكم فلتهنئوا بهن فانهن جميلات .
ما هذه الجرأة ؟

اي جرأة ابديتها في حديثي . اونسيت انكم لم تتكرموا بتقدمي لهن كما
يقضى بذلك الواجب وازيدان سموكم لم يتكرم بتقدمي للمدعويين كما وعدني
— حقا نسيت وسأبدا بهذا العمل في الحال .

شكراً ياسمو الامير .

دعينا من هذا الحديث وهيا بنا اقدمك للمدعويين

تأبط ذراعي واخذ يقدمني المدعويين ثم جلسنا في احدى زوايا الصالة
وتجادبنا اطراف الحديث فقال : —

اتعرفين السيدة التي كان يتأبط زراعها السيد ؟

لا لم اتعرف بمعرفتها الا وقت ان تفضل سموكم بذلك ؟

ان هذه السيدة تتظاهر دائماً بالغني ، وهي معجبة بنفسها جداً وزيادة على

بذلك تحب ان تظهر للناس أنها تخال فتیان اغنياء

آمل أن تتكرمي بأخباري هل تيجيبين الدعوة أم ترفضها ؟
وانتهز يا حضرة الآتسة هذه الفرصة لا قدم لك كبير احترامى وعظيم
اجلالى ؟

سليمه رضوانه

كتاب مقتضب ذو معنى كبير مملوء بالغمز واللمز ، ولكن مع ذلك سأحضر
هذه الحفلة لأنها ستكون واسطة تعرفى بكثير من النبلاء الذين أود ان ادرس
احوالهم واعرف اخلاقهم فأسرعت بكتابه كتاب قبول الدعوة
الجزيرة فى ١٦ مايو

يا حضرة الوكيل

تكرم برفع الكلمات التالية لسمو الأمير ؟
اشكر لسموكم تفضلكم بدعوتى للحفلة الساهرة واعد هذه الدعوة اعظم
منة وسأبادر للحضور مادام تشرفى بمقابلتكم يسر سموكم
وتفضل يا صاحب سمو بقبول خالص الاجلال والاحترام ؟

نوريس

وتقبل يا حضرة الوكيل عظيم شكرى واحترامى ؟

نوريس

*
* *

حان اليوم الذى ضرب للحفلة الساهرة فرايت ان اعمد التأخير فى الذهاب
وفى الساعة العاشرة خرجت من صرحى ويممت قصر سمو الامير فاذا قصر
جميل وسط « حديقة عالية قطوفها دائية » واذا بوكيل الأمير يتقدم لمقابلتى
فدخلت القصر فاذا انواراً تلاًلاً فى ابهائه وحجراته
« دخلت فاذا الراقصين والراقصات يسبحون فى بحر من الهناء والسرور
ويطيرون فى اجواء مختلفة من اللذائذ والمناعم » فطلت ادير عينى بينهم

كتب الشجيرات الدائمة الاخضرار زاهية بازهارها المسجدية ، جمالها ساحر
فتان ، هو جمال الربيع
آه ما اجمل الربيع !

ما اجمل العيش فيه وما اسعد من يتمتع بهذا الجمال ؟
أشعر حزينه بهذا النعيم نعيم الحياة نعيم الربيع ؟
أتقدر بأثمة هذا الجلال جلال الحياة جلال الربيع ؟
انتمتع طاهرة بهذا الهناء هناء الحياة هناء الربيع ؟
انشد بفي هذا النشيد نشيد الحياة نشيد الربيع ؟
ذلك ما تتمتع به السعيدة الخلية من الشجى ، أما من تتمتع بمسرات
ممزوجة بأحزان ، وتسمر بملاة مشوبة بأشجان فتلك من البائسات

*
* *

عدت لصرحى بعد أن قضيت ساعتين فى الخلاء وأخذت بريد الصباح
فاذا بخطاب من سمو الأمير فضضته فاذا فيه ما يبلى : —
قصر الدوبار فى ١٥ مايو

حضرة الانسة نوربى

كلفني سمو الأمير او أكتب لك الخطاب التالى :

الانسة نوربى

تفضلت بدعوتى ذلك اليوم الذى عرفتك فيه لأول مرة ويسرنى أن
أخبرك أنك وقعت فى نفسى موقعا حسنا

لقد حددت يوم ٢٩ مايو ميعاد الليلة الساهرة التى سأحييها
بقصرى ، لذلك أدعوك للحضور وآمل ألا تتخفى لانك ستكونى درة هذه
الحفلة وتسنع لى الفرصة أن اقدمك لكثير من الكبراء والفضلاء اللذين
ستسربن بمصاحبتهم وتقبلى تحياتى ما
أمير سهير

صرح الامير

استقطت هذا الصباح مبكرة وشعرت بضئيل ارتياح ففضلت ان اتزه قليلا في الحقول المجاورة لصرحي

خرجت من الصرح راجلة مرتدية ثوبا بسيطا تصحبني وصيفتي ، وكنت مسرورة بعض السرور فتزهرت في الحقول التي تبعد عن صرحي أكثر من الفين مترسرتها على قدمي فاتمهت لحديقة غناء جلست فيها على العشب الاخضر والاشجار . فلذلى ان اخط على القرطاس جمال الربيع ، تذكر الاول يوم شعرت فيه بضئيل ارتياح بعد احترافي مهنتى الجديدة

أذن الشتاء بالرحيل ، وهلت بشائر الربيع ، وطفقت الاشجار تفيق من سباتها العميق ، اورقت الغصون ، وظلت الاشجار على الغادى والرائح ، ورطب النسيم برد والشتاء وتفتحت اكمام الازهار بعد طول الغياب ففاح شذا عطرها بتضوع في الآفاق

صفت السماء وازرقت بعد طول الاكمداد وارسلت الى ذكاء اشعة ضوءها الذهبي فما اجمل نشيد ربيع الحياة ! لقد اهتز كل حي في النبات وربما ، وتبوأّت دولة الجمال مقامها السامى ، فنثرت ازهارها المتباينة الالوان المختلفة الانواع فبعثت ! لنا الورد الاحمر رمز الحياة ، وحبیب العشاق ووشاح الحب في دولة الايام من قديم الزمان

ابتمت الطبيعة فحق للنفس ان تتمتع بنعيم الحياة لاسيما وقد آن للزهر ان يجود وأن للحياة ان تطيب

اكدت الارض اثوابها الزرجدية القشبية ونثرت الاشجار ازهارها ، فمن نرجس يعانق وردا ، ومن خزامي يناجي سوسنا ، وهنا وهناك ترى عن

وانا لا أود أن تربي ابنتك من نقود العهر
اقبلي يا ابنتي هذه الهبة مني ، عديني كوالد لك ، أكون لك شاكراً ،
ان مأسأهه لك شهر با قليل : هو عشرة جنيهات اقسميها قسمين قسم لتربيتهما
والآخر ادخريه لها للمستقبل لان هذا المبلغ سيقطع عند موتي
لم أتمالك أن اذرفت الدموع فتابع حديثه وقال :
لا تبكي يا ابنتي احتملي المصيبة بصبر جميل واكتفي بالقليل من الصحاب ،
وحاولي جهديك أن تستخلصي لنفسك رجلاً كريماً منهم ؟ لينشلك من هذه
الحياة ويردك لحياة الطهر ، ثقي يا ابنتي ان الله سيساعدك وان حياتك الجديدة
لا تدوم طويلاً
فقلت له والعبرات تخنق فؤادي .

اي والدي - اسمح ان اخاطبك بهذا الاسم لانك شيخ كريم - نصائحك
سأتبعها كلها وما طلبته اليه واي وقت تزرنني فيه تقابل بالتجلة والاحترام
وابنتي سأربيها على حبك ، سأقول لها انك جدها وآمر مربيتها ان تعلمها
كيف تحبك

شكراً لك ولناذني لي الآن بالانصراف فاني لاحظ انك منهوكة القوى
كما تأمر ياسيدي الوالد ولترعاك العناية الألهية

*
* *

وهكذا خلفني . وخرج بعد ان اسرني بفضله وساعدني على تربية ابنتي
بنقود شريفة

شيخ كريم كهذا قليل الوجود في هذا العالم



حجاب ، وأزواجهن وأبائهن وأخوانهن تجهل كل الجهل الطريق الذي يسلكه . يفعلن ما يفعله الماهرات ويزيد ، ويمددن عرفاً طاهرات شريقات لا خائنات فاجرات ، ويمينا بالله ان الزوج الذي يعلم ان زوجته قد أصبحت فاسدة إلا انها سلمت عرضها لفتى . لو عرف الزوج والوالد حقيقة الامر لقتلن شر قتله ولكن الامهات والخادومات يسترن أمرهن ويكتمن سرهن والرجل يجهل ذلك كل الجهل . هن شريقات طاهرات وعاهرات فاجرات في الوقت نفسه .

أجل ذلك حق واضح ويسئني ان ذلك أصبح منتشرأ في اغلب الاسر وخصوصاً الكبيرة منها
أسمعت ياسيدي الوزير قصتي ؟

نعم سمعتها ورثيت لحالك وفي الوقت نفسه عددت الطبيب نذالامروءة له ، وأود من الصميم ان اقدم لك مساعدة ما وكم أكون سعيدا لو استطعت ان انتشلك من هذه الحياة التي لم يمض عليك فيها أكثر من شهر ، لكنني كما ترين شيخاً عجوزا على أبواب الايديه . كما اني في الوقت نفسه مثقل بالدين من جراء لعب الميسر ، الداء قضى على زوجك ، لقد ضاعت املاكي كلها من جرائه واليوم اصرف نصف مرتبي وفاء لديني

جئت بموت ولدي الوحيد من خمس سنوات ومنذ ذلك اليوم وانا مجنون أقامر دون حساب حتى خسرت أملاكي ونصف مرتبي

لا أود أن أكون لك خليلا ، ولا أرغب أن أكون عشيقا فاني إن فعلت تعرضت لسهام اللوم فضلا عن أني ان اكون محبوبا منك

هناك محلا وسطاً بين ذلك - سأكون كوالدك وسأتردد عليك في أي وقت وسأبذل لك نصائحي وأقدم لك بعضاً من مرتبي لا كأجر على سماحك لي بالتردد عليك بل كمساعدة تساعدك على تربية ابنتك التي سمعت أنك أودعتها ملجأ لتربيتها ، لأن البقية التي بقيت لك من النقود لاتكفي لتربيتها

« اسبانية » فاستطعت ان اعرف انك تكذابين . وقد لاحظت انك وان كنت عاهرة الا انه لم تبدر منك بادرة تم على انك فتاة ساقطة انى وزير كبير ولكنى قبل ذلك كنت موظفاً صغيراً وكنت أيام فتوتى صديقاً للكثيرات من العاهرات المصريات منهن والفرنجيات واستطعت من كثرة ترددى عليهن أن احكم أن كل العاهرات والمخبطات والمشيقات — ان صح أن أطلق عليهن هذه الاسماء — لاتقابل عشيقها أو المتردد عليها الا بالكلمات الجارحة والسب الفاضح وهن يعتقدن — وكنت أشاركهن هذا الاعتقاد — ان ذلك عين الاكرام . أما مقابلتك يا أيتها السيدة كالشريفات ذوات الطهر والعفاف لآنى فى حفلة الرقص كنت رقيباً على كل كلمة تتكلمينها فلم تبدر منك هفوة صغيرة

قد تتعرضين وتقولين :

— انى لأزال صغيرة السن لم أحترف هذه الحرفة الا منذ عهد قريب ؟
— قد يكون ذلك صحيح ولكن مهنتك تضطرك ان تكونى كما أسلفت تضطرك أن تفجرى جرحهم ، واعتقد انك ان كنت افرنجية كما تدعين ، وطاهرة كما تذهبين لما قابلتيني مقابلة كهذه

فان كان كل ما استنتجته خطأ أقول ان ملاحظك تدل على انك مصرية الابوين . فان انكرت ما سلف فلا تستطيعين ان تنكرى ذلك — حدثنى الدكتور « حسنى » أنك ابنة السيدة وزجك عصمت بك أليس كذلك ؟

كل ما سردته حق يا عطوفة الوزير وقد اقدمت على اختراق هذه المهنة لان الطبيب فشنى سرى ولست بعملى هذا الاولى من نوعى فكثير من الفتيات قد شاركن الرجال فى الدعارة والفساد ويجزنى ان اصرح أنهم يتقنن فى هذه الاعمال ، حتى أصبحت الزوجة لا تأنف ان تخون زوجها ، والفناه لا تجرد بأساً ان تسلم نفسها لفتى أظهر لها حباً كاذباً ، يفعلن ذلك من وراء

— كيف حال السيدة اليوم ؟

كثيرة التفكير من يوم ورود خطاب عطوفتك

اسبب خطابي لك حزناً ؟

لا بل سبب تفكيراً

ان الامر هين بسيط ، لقد سمعت بعض الحديث عنك من اشخاص
متمددة وهذا الحديث متضارب . وسأبدأ بطرح بعض الاسئلة عليك وآمل

أن تجيبيني بصراحة ولا تحش بأساً فلست بفاش سرى

لقد بلغت من العمر أرذله وشاهدت فى حياتى عجائب كثيرة ، وترددت
على كثيرات من بنات الهوى ، الافرنجيات والمصريات ، وكنت كذلك
مصاحباً سيدات محصنات زوجات رجال كبار .

ولقد أنبت منذ خمس سنوات وعكفت على الصلاة لاني شعرت أن
ساعتي قد حانت . ولقد قبلت دعوتك وراقصتك لاني قبل ذلك سمعت
حديثاً متضارب عنك ، واليوم زرتك لاتحقق من الحديث المتضارب .

— سوف تجدىنى يعطوفة الوزير صريحة فى كل شىء

— أنت فرنجية ؟

— أشككت فى ذلك ؟

— نعم شك كبير فان كنت فرنجية فلاى الاجناس تنقسمين ؟

— هنا فكرت ثم قلت

— انى اسبانية .

أنت تراوغينى ولا تطلعينى على الحقيقة . تدعين انك افرنجية ، فان

سألت أنك تجيدين الفرنسية كالفرنسيات أنفسهن ، ألا انى لا حظت انك

تتفكرين قبل أن تنكرى لئلا تبدر منك بادرة تم عماتخفين من أسرارك .

وعند ما سألتك عن جنسيتك فكرت ثم قلت لى وحمرة الخجل تزين وجنتك

الشيخ الكريم

تسلمت هذا الصباح الخطاب التالي .

حدائق القبة في

حضرة الآتسة .

ان اول نظرة القيتها عليك ذكرتني بحوادث عديده وقد سمعت عنك حديثاً متضارباً اود ان اتحقق بعضه منك فان تكرمت بانتظارى يوم الخميس القادم عند منتصف الخامسة اكون لك شاكراً

وتقبلي خالص تحياتى ما ع . . . باشا

فكرت كثيراً فى هذا الخطاب المقتضب وحاولت ان افهم سبب هذه المقابلة لكننى لم اجد الا سبباً واحداً ذلك هو ماضى

اجل يظهر أن الطبيب فشى سرى لكل انسان حتى انى اصبحت مضغفة فى الافواه تتحدث الرجال بقصتى فى اوقات سمرهم ولولا ذلك ماطلب عطوفة الوزير مقابلتى .

*
* *

حل اليوم الذى حددته عطوفة الوزير موعداً لزيارتى وقبل ان تأزف الساعة المضروبة طلبت من الوصيمنة ان تشيعة لغرفة الاستقبال حيث اكون بانتظاره

ولم انتظر الا القليل حتى اعلنتنى الوصيمنة بقدومه .
ولما دخل بدانى النحية جامدة حبيته بأرق تحية واجاسته فى صدر المجلس .
- ثم تجاذبنا اطراف الحديث واليك طرفاً منه :-

سعادة البغى سعادة كاذبة وهناؤها ممزوج بالاشجان ولكنى لا ادرى
أجهل الكتاب ذلك ام يتجاهلون؟ ولم يقلبون الحقائق رأساً على عقب؟ او
أوليس امر هؤلاء غريباً؟ أو ليس حكمهم خطأ؟ وتلك النظرات التى ينظرون
بها للبغى نظرات غريبة لا أستطيع تكييفها .

يعلمون ان العاهرة تخالف دائماً ضميرها فتظهر الحب لمن تماف نظره
وتتظاهر بالبشر حين ترغب فى البكاء ، تظهر لهذا الحب وتماهده على الاخلاص
فان اتى الآخر أقسمت له انها لا تحب غيره ، تظهر للجميع حبا تختلف درجته
باختلاف قدر المال الذى يبذلونه لها .

ذلك حب البغى لمن يبذل لها المال سعياً وراء منفعة . فان قدر الله لها
ان يدخل الحب قلبها غالباً يكون ذلك الحب سبب شقائها والقضاء على البقية
الباقية من حياتها ، لان من تحبه لا يشاركها عواطفها وقد لا يشفق بل يعتقد
— وله حق فى هذا الاعتقاد — انه حب من اجل مال فتتعذب هى وتشقى فى
الحياة وغالباً تحتم حياتها اما بالانتحار او بالانهماك فى تمذيب المترددين عليها
فان كان الاول وضعت حدا لشقائها الدنيوى وان كان الثانى عانت فساداً
واصبحت شيطاناً رجيماً . اما ان احبها من كانت تحبه يكون هذا الحب لها
نعم العزاء



تحققت بعد ذلك أن حب الطبيب لى كان حباً شهوانياً في البدء ولكنه بعد قليل أصبح حباً محرّفاً وأخذت نيران الغيرة تدب في صدره فابتعد عنى ونذر أن طرق باب صرحى أما انا فاحتقرته وقد كان هذا الاحتقار أحسن علاج له . فلم يمض على في حياتى الجديدة أكثر من شهرين حتى خطب ابنة أحد كبار الاغنياء لكنه لم يهنأ في عيشة معها بل شقى شقاء عظيماً فكان ذلك الشقاء جزاء وفاقا .



دخلت غرفة نومي واخذت أفكر فيما شاهدته في هذه الحفلة وما أستطعت ان ادرسه من اخلاق الضيوف الذين لبوا دعوتى . فتحققت ان السادة الرجال ان كانوا يتظاهرون باحترام البنايا الا انهم يحتقرونهن ويمدونهن وسائل لارضاء شهواتهم . لا يفكر الرجل عندما يجالس البغى لم تسقط ؟ وما الدافع لها على السقوط ؟ وهل هى قانعة بمعيشتها ام متبرمة منها ؟ وهل اذا اتبعت لها عيش الشرف ترفضه ؟ .

قد يفكر بعضهم في هذه الاسئلة لكن سرعان ما يضيع هذه الافكار جانباً ولا يفكر الا في التمتع بالسيدة التى تحاول ارضاءه بكل ما تستطيع . هناك رأى يقول : ان المال هو الوسيلة للسعادة في هذا المجتمع واعتماداً على هذا الرأى وضعت عدة اسئلة وهالك بعضها :

لم يسرق اللص فيسجن في اعماق السجون ويسام سوء العذاب ؟ ولم تبيع العاهرة عرضها في سوق الفحش ؟ ولم يتمادى . الاشقاء فيسفكون دماءهم ويرتكبون الجرائم ؟ ولم يغلب القوى الضعيف ؟

وأصحاب هذا الرأى يقولون : اليس المال هو السبب فيما سلف فان كان هذا صحيح وعلى ما أظن لا يخلو من قسط كبير من الحقيقة فقاتل الله عصراً أصبح المال معبود أفراده .

مبهوراً ، مسحوراً خاشعاً ، وقد نسيت ذاتك الحيوانية السافلة فالاجدر أن
تعد من أرباب الفنون بل من نوابغ الدنيا (١) »

لقد كنت أنا الراقصة التي يعينها الكاتب لامع كل من رقصت بل مع
الشاب فقط لأنى وجدت دافعاً من نفسى يدفعنى أن أرفعه الى ماقوق المبتذل
ويمكنى أن أقول انى من ابتداء تلك الرقصة شعرت نحوه بميل غريب لأنى
بعد الرقص وجدت دافعاً من نفسى أن اخنلى به ولذلى فى هذا الوقت مجالسته
ولقد كان ذلكم الشاب جريئاً فانه قباني فأحرقت قبلته جبينى وكأنها كانت
تياراً كهربائياً سرى فى جسعى ، فانسالت عقبها بسرعة من بين يديه .

حانت ساعة انصراف المدعوين فأخذوا يخرجون الواحد عقب الآخر
وكان سمو الامير والشاب — اذا أستثنيت الطبيب — آخر من خرج وعند
خروجه نظرتلى نظرة وداع عندما لاحظ انى مهتمة بتوديع سمو الامير
أراد الطبيب الذى مهدلى سبيل هذا العيش أن يمضى بقية ليلته عندى
لكنى أفهمته انى تعبه وأخشى أن لأسبب سروره فيحقد على فلينظرنى
ليلة أخرى أن غداً لناظره قريب .

يظهر انى استطعت أن أقنع الطبيب فان علامات الرضى والقبول كانت
مرتمة على أساريه

أجل كنت منهوكة القوى هذه الليلة ولكنى فى الوقت نفسه لم أشأ أن
أستبقى الطبيب عندى لانى عزمت أن لا أملكه نفسى مرة ثانية
نعم . سوف أكون لغيره وسوف أكون لاحقرمنه ولكنى لن أكون
له مرة ثانية . لتكن اللحظة التى قضت على حتى ستطت فى الهاوية ، الاولى
والاخيرة بينى وبين الطبيب . لن أكون خلية له فان أراد مصادقنى
فسأكون صديقة فقط فان رغب ذلك فأنا راغبة وألا فلا يلومن الا نفسه

(١) نقلا عن زنبقة الغور لامين الريحانى .

لقد فعل ذلك ليستلقت نظرك ؟

إن كان هذا الادعاء صحيحاً فكان يجدر به ألا يكون حزيناً بل فرحاً مسروراً لأن معشر البغايا لا تميل للحزين . وغالبا لا يهمها من أمر الشخص جماله فقط بل تبحث أيضاً عن ماله لأنه بيت القصيد .

كان الجميع يحاولون التقرب مني لأن كل فرد كان يتوق أن يجالسنى منفردة ولا أدري ماذا يريد أن يسره اليّ ؟ أريد أن أكون محظيته ؟ أم يريد أن يشرح لي حبه ؟ أن كان الامر الاول فاني سوف أكون له أما الادعاء الثاني فيكاذب فيه لأن ساعة أو اثنتين لاتولد حباً .

نحن معشر البغايا لايهمنا من الحياة الا المال فالواحدة منا ترمي شباكها على الغنى الموسر فتصيبه بلحاظها وتظهر له الحب الشهواني بينما تبطن غير ماتظهر . هي لاتحب الا ماله ولا تود الا أن يكون أسيراً لها . تود أن يقدم لها قلبه فان فعل سحقته بلا رحمة ولا رأفة وهكذا الثاني فالثالث .

* *

« الرقص فن من الفنون الجميلة تتحرك النفس في السامى من أنواعه . قبل أن يتحرك الجسد . ترفعه العفة فتحطه الخلاعة . تزينه حركة فتشيدنه حركات يميزه الذكاء اذا قرن الى رقة وكياسة ونفسه الخفة اذا قرنت الى فواحش الفكر وسوافل الحواس .

« الرقص سراج وهاج يبهر فيسحر . هو شعلة نار تحرق فلا تنير . هو وحشى اذا ملكته الربلات وسادته الجوارح . هو سماوى اذا استخدمت هذه فيه ، كما يستخدم الرسام الالوان والشاعر الالفاظ .

فأية ذات نهدين ياترى لاتستطيع أن تخرج صدرها وتذبذب أردافها فتهيج الحيوان فى الانسان ولكن راقصة ترفع بك الى ما فوق المبتذل من الشهوات دون أن تلجأ الى المبتذل من حركات الراقصات ، فتشخص اليها

الحفلة الراقصة التي سألها في صرحي الصغير في حى الجزيرة في اليوم السادس
عشر من ابريل



مادقت الساعة نسع دقائق حتى أخذ المدعوون يقدون ذرافات ووحدا
واذكر أنه كان بينهم ثلاث سيدات افرنجيات اثنتان منهما فرنسيتان والثالثة
إيطالية وعلمت أن اولاد النسوة عشيقات ثلاثة فتيان من ابناء سرة مصر
فمكن نحن الاربعة كل النساء في هذه الحفلة التي لا يقل عدد رجالها عن الثلاثين
لم أكن اعرف انسانا من المدعوين ولكن الطبيب - ساعدى الايمن -
كان يعرفهم ، فتكرم بتقديمهم .

ولما تقرر أن يبدأ الرقص في منتصف الحادية عشرة فملى دفتري المعد لتسع
رقصات باسماء الراقصين قبل البدء في الرقص بنصف ساعة . وكان الطبيب
قد حسن لى اختيار ثمانية منهم أما انا فاخترت التاسع .

وجمات دور الشاب الذى اخترته الرابع بالرغم من أنه كان يجب أن
يكون الاخير لانه كان آخر من أخترتهم ولكنى اردت أن يكون الرابع فكان
وكان على رأس الراقصين امير شرقى يحكم والده احدى جزائر المحيط
الهندي ولقد كان أول الراقصين أما ثانيهما فوزير جليل من وزراء مصر
السابقين من الذين طلقوا الوزارة المصرية وأخذوا للراحة والسكون أما
الثالث فعضو فى مجلس

فأتى أن أذكر أنه ساعة أن دخل الأمير لاحظت أن الشاب الذى أخترت
يصحبه ولكن الشاب التزم مكانا منعزلا فلم يختلط بالمدعوين فاخترت فى
أمره وحاولت أن افهم حقيقة نفسه فأخفقت ولقد حاولت مرارا أن أرجع
عن عزمى وأعدل عن اختياره بالرغم من أنه كان صغير السن جميلا ولكن
عزلته دفعتهنى ألا أرجع عن عزمى ورب قائل يقول :

الكبراء والامراء عبيدها وأن تكون الصوالج تحت أقدامها ومع هذا فهياهي متجولة بأسة مسلمة الى الجميع ، ياهو بها ربان مركب تجارية ثم تجي وتلقى نفسها بين يدي وهي تعلم انى لست شيئاً ،

١١

وليهدت الاشرار

مه زاندى يوفى ان بسى سخته ابا-مه الحففى

(صوت)

لم اشأ أن اظهر فى حياتى الجديدة باسمى بل فضلت ان اتحل اسما افرنجياً ولقد اخذ الطبيب على عاتقه ان يقدمنى للججمهور باعتبار انى محظية افرنجية وفدت للديار المصرية لتعرض فى سوق الفساد جمالها . قد اكون المصرية الوحيدة التى تجرأت ان تتحل لنفسها اسما افرنجياً

(نوريس) هذا هو الاسم الذى اخترته لنفسى فى حياتى الجديدة وهو اسم بظة الرواية المسماة بهذا الاسم ، ونوريس فتاة عذراء سامت نفسها لاميير جليل اظهر لها الحب ووعدها بالزواج ، سامت له نفسها رجاء ان تنقد والدها من ظلمات السجون وترد له شرفه المفقود فبعد ان خدش الشرف وبعد ان برئت ساحة الوالد اعرض عنها من وعدها بالزواج ولما ذكرته قال لها : (ايتزوج الرجل خليلته ؟) وتلك هى نفس الجملة التى سطرها الطبيب فى خطابه لى . فهناك تشابه بينى وبين هذه الفتاة فان اتحلت اسمها اكون قد وقفت لاتحلال اسم يطابق التسمية .

أصبحت ادعى الأنة نوريس وبهذا الاسم دعوت كبار اهل مصر

هذا الميدان بل مقتفية أثرهن في طريق مهدهن لي فكثيرات منهن سلكن سبيلي فسمين أنفسهن بأسماء تركية وأدعين أهن تركيات كل ذلك ليوهن على أزواجنا وليخدعن بناتنا فيستدرجنهن للعار استدراجاً

دخلت منزلي الجديد وما استرحت فيه الا القليل حتي تمثلت أمام ناظري حياة العهر والفساد بشرها وعذابها ، بآلامها وأتراحها ، وتذكرت أن كل الكتاب وصموا هذه الحرفة بما شاء وأو شاء لهم البيان والمنطق وان كان هناك بعض من الكتاب يرثي لحاله البغي ويلتمس لها بعض العذر فذلك قليل نادر ، وأذكر من هذا القليل النادر الكسندر دوماس وجان جاك روسو فقد قال أولهما :

« ان كان لا يحق أن نحب هذا الصنف — يقصد البغايا فلا أقل من أن نشفق عليهن ؛ ونرثي لهن ونقدر ما يألمن منه »

أما روح ما قاله الثاني فروح جديدة لم تكن معروفة قبله وسرطان ما امتدت وتشعبت . فقال يصف دخوله مخدع بغى

« دخلت غرفة بغى فكأنما دخلت معبد الجمال والحب ، وتبدى شخصها لناظري لا بساً ثوب القداسة ولولا هذا الاحترام الذي كان عندي لما أحسست بمثل ما أحسست به أمامنا وما لبثت حين رفعت الكلفة بيننا وعرفت ثمن جاهها ونواها حتى أمرت أريد أن أجنى ثمرها ، خيفة أن تضيع مني . ولكني شعرت بخاة بدل الزيران التي تأكلني ببرد قاتل ينساب في عروقي فارتعدت رجلاي وجلست أبكي كأني طفل

« من ذا يستطيع أن يمرف سبت بكائي وما مر برأسي في هاته اللحظة؟ انما قلت في نفسي :

هذا المتاع الذي أصرفه هو أبهى ما أبدعت الطبيعة وأنتج الحب فمقلها وجسمها وكل ما فيها كامل وطيبتها وكرمها يوازيان جاهها ورقتها . يجب أن

حياتي الجديدة

صدق ما تنبأت به ، فالطبيب يحرضني على الفسق والفجور بعد ان سد كل الطرق في وجهي وبعد ان تحقق أن لا مفر من ذلك فإذا أنا صانعة في هذا الموقف الدقيق ؟ أموافقة له ؟ أم قاضية على نفسي ؟ أن الموافقة أمر لا مفر منه . أما القضاء على النفس العزيزة فلن يكون لان هناك من يضطرنى أن أعيش ، هناك ابنتي فيجب أن أعيش لاجها لأرد عنها الغواية الفاسدين أمثال ذلك النطاسي الماهر !

قررت أن أوافق الطبيب على ما اقترحه على فكتبت له الكلمات التالية وعيني تذرف ، ونفسي تتأوه وهالك ما فيه .

القاهرة في ٥٥٥٥

سيدي

أنت باديء فسادى ، وأنت محرضى على خوض لجة العهر ، فان كان ذلك ما تدعو اليه . وان كان ذلك ما يرضى ضميرك ، فأنا له قابلة ولا وأمرك .منتظرة

خالدة

ولما تسلم الطبيب كتابتي أسرع في الحضور لدارى واتفقنا سويا على البرنامج الذى سنسير عليه ووكلته فى أمر بيع ممتلكاتى وتصفية الدين ثم كذلك عرض حلى وفراشى للبيع واتفقنا أن يؤجر لي صرحا مفروشا كان لسيدة أفرنجية غادرت الديار المصرية ولقد أخذ على طائفة مهمة القيام بتقديم الكبار الاسر المصرية والسورية ، واتفقنا أن أسمى نفسي اسما أفرنجيا وأدعي لى افرنجية الاصل ولا يظن القارىء الكريم إنى فى عملى هذا سابقة للأفرنجيات

أن الجناية الاخيرة جرم فظيع قضى على كل مشروع كنت تفكرين فيه
قضى على مهنة التدريس التي كنت تنوين أن تحترفيها ان مات زوجك لأن
الاسر كبيرها وصغيرها ، أصبحت الآن تعدك عاهرة فاجرة ولذلك لا تسمح
لك بتعليم بناتها لانها تعتقد أنك تساعدن أن يحذون حذوك في العهر
والفساد .

لقد سددت أمامك كل الطرق التي كان يمكن أن تسلكيها ، فلا يوجد
الآن أمامك الا طريق واحد ، ذلك طريق المخاللة وأنى مستعد أن أكون
خليلا لك ، وان أمهد السبيل لذلك ، فأعرفك بأفراد من كل العناصر على
شريطة ان أكون أول المقربين منك . وان يكون لى الخطوة الاولى .
أعرف أن لا مال لديك وانك مدينة واذا بت كل ماتملكين حتى حليك
وأناث دارك لا يتبقى لك الا مائة أو مائتين من الجنيهات ولذا أستحسن أن
تجعلى هذه البقية وقفاً على تربية ابنتك وتعليمها فى احدى الملاجى لتكون
فى معزل عن حياة العهر والفساد

فان صادف حديثى هذا هوى فى نفسك تجدينى مستعداً لتنفيذه

وفى الختام أهديك يا سيدتى خالص التحية والسلام

دكتور حسنى



كنت لا تحبين زوجك إلا ان تربيته العاليه تمنعك ان تخونيه فتطلقى نفسك منه فى هذا الوقت المصيب الذى ضحيت فيه مالك لاجله . كنت اعلم ذلك وأعلم انك اصبحت اما ، فبحال ان تركي هذا المركب خئتك من هذا الباب باب الزواج - لاني وددت ان استدرجك عقب ذلك لما اطلب .

نجحت الخطة التى رسمتها وسلمت لى نفسى ، والله يعلم أنى بعد تلك الحادته احتقرت نفسى ، وعددت نفسى جبانا ساقطا ، ولكن هذا الشعور النبيل تجر بعد قليل من الوقت وعادت الى عواطفى الحبيثة فوجدت أنه من العدل أن أمضى فى فعلتي - قد لا يكون هذا حقاً لكنى اعتقدت انه حق - وعلى ذلك فاعتمادا على هذه النتيجة أفشيت سرك للناس فأكبروك واحتقرونى . نعم أكبروك لانك كنت مثالا للاخلاص أما أنا فكنت مثالا للنذالة والخبث ولكن ذلك كله لم يؤثر فى نفسى بل زدت فى طفئاني فشوهدت سمعتك الطاهرة كما سولت لى نفسى أن أفعل ، فحدثت كل من أعرف ومن لا أعرف عنك حتى أصبحت مضغعة فى الافواه ، يتحدث بسيرتك الناس فى المشارب والمنتديات والاسر ، فى المنازل والقصور ، لا فى القاهرة فحسب بل فى القرى والمدن . عرضت بعد ذلك نفسك على ورجوتينى ان أمد يدى فأصافح يدك الكريمة . كم كنت أود ان أعمل ذلك يوم وفاة الصديق العزيز ولكنى لم أشأ أو بالاحرى لم تشأ نفسى الحبيثة ، وكان المحرض لى على ذلك الممثل القائل « أيتزوج الرجل خليلته » ذلك هو السبب الذى منعى أن أتزوجك فى ذلك الظرف الدقيق وهو ما يمنعى اليوم أن أقوم به مع انى لو قت لكنت جديرا بالاحترام والا كبار ، لا منك فحسب لكن من الناس أجمعين .

ولكنها الكبرياء والعظمة المستوليتان على قائلهما الله من صفتان مشينتان لقد جنيت عليك جناية كبرى ، لا بل جنيت عليك جنائتين : جناية سلب عفافك ، وجناية التحدث عن شرفك وطهارتك ووصمك الوصمات الشنيعة فى المشارب والمجتمعات

هذا مايجول في خاطري الآن تقدمت به اليك وكلي أمل أن يصادف
منك صدرا رحباً .

وتجدني في انتظار ما تأمر به فألبيه على العجل
وتفضل ياسيدي النطاسى بقبول خالص تحياتي والسلام
المخالصة

(مخالصة)

ولما انتهت من كتابة الكتاب وجدت أن أحسن طريق لا يصلح هذا
الخطاب هو ان تحمله وصيفتي له في منزله وتنتظر منه رده
بعد مضي اكثر من ساعتين رجعت وصيفتي تحمل لي رد الخطاب
وهالك ما فيه

القاهرة في

حضرة السيدة المحترمة

اهديك سلامي واحترامى وبعد

الساعة تلقيت بمزيد الاحترام والاجلال خطابك الكريم ولقد قرأته بامعان
مرة واثنين وثلاث مرات وذلك كله لافهم كل ما فيه

استطعت أن افهم انك بعد ان انبتيني وبعد ان عدت الظروف التي
مرت بك تطلبين مني أن أصبح زوجا لك ثم بعد ذلك تطلبين مني ان اقبلك
كزوجة ثم تذهبين ان ذلك واجب على

قد يكون على هذا الكلام مسحة من الحق وقد يكون حقاً كما تقولين
انه يجب على ان اتزوجك

لقد احببتك ياسيدتي العزيزة ، وكنت مجنوناً بمحبك ولكن ذلك الحب
حب شهواني ، لان حب التمتع بك كان مستولياً فطلبت منك في ذلك اليوم
ان تكووني لي زوجة وكنت جد واثق انك لن تقبلي ذلك لاني اعلم انك وان

كنت أستطيع ذلك . لكنى نظرت من وجهة أخرى فوجدت أن هذا العمل يشين سمعتى ان لم يصمى بالخيانة - ظاهرا لابطناً - فضلت تضحية نفسى لانقاذ حياته .

تعلم أنك أنت الشخص الوحيد الذى استطعت أن تتغلب على ارادتى وتعلم أنه لولا المركز الدقيق الذى كنت فيه لما استطعت ذلك . فان أنا عرضت نفسى اليوم عليك وقدمت نفسى لك كحليلة فأنا لم أفعل ذلك الا لان الظروف تضطرنى أن أركب هذا المركب .

كنت الشخص الوحيد الذى سامت نفسى اليه - ذلك طبعاً بعد زوجى - ومنذ ذلك اليوم لم يقربنى زوجى ...

فان كنت جاد فيما تقول وترغب أن تكون لى زوجا فثق انى فى هذه اللحظة كما كنت يوم الحادثة المشؤومة

أعرضت عن الزواج بك فى ذلك الوقت أما اليوم فأطلبه منك ، أطلبه منك لان ذلك أمر لا بد منه ولأن الواجب يقضى على أن أطلبه لاصون شرفى وشرف ابنتى

لأطلبه اليوم منك فحسب بل أرجوك أن تقبله ، أرجوك أن تقبله لانك كنت الدافع لى أن أخون زوجى ، أرجوك أن تقبله لانى أود ان احيا لاجل ابنتى طاهرة عفيفة ، أرجوك ان تقبله لانى احبك فأود أن أزوجك . بل لان ذلك واجب عليك فأعمله .

فان كنت لم تبج بسرى لاحد فى أحد مجالس شرابك - لأن عهدى بك ثرثار - فامدد يدك قابل بها بدى الممتدة وصاخفى وارفض بى زوجة . أكون لك ندم الرفيقة فأصون مالك وتكون قد أسرتنى بمعرفتك .

وان كان لسانك قد خانك فبجت بما حدث بيننا . فتهتمك فى هذا الوقت يكون أشرف وأوجب . وفعلتك تكون اوقع فى النفس .

رذيلة بين الأنام سأكون بنيا فاجرة أعذب من عذبي وأنتقم من مهدى
السبيل سوف أكون

انتصار الرذيلة

رأيت اليوم أن أكتب للطبيب الفاجر الكتاب التالى أحدثه فيه عن
نفسى وأطلب منه هو الآخر الإفصاح عما ينوى
القاهرة فى

سيدى الطبيب

تهديك أرملة حزينة سلامها وترفع اليك تحياتها وبعد .
لجأت اليوم للقلم لأخط لك ما كنت أود أن أقيه على مسامعك بنفسى
لانى شعرت أن لسانى قد يخوننى فى الإفصاح عما أريد .
قلت أيها السيد فى المقابلة الاخيرة بيننا أنك تحبني جد الحب وأن
صورتى تركت فى نفسك عندما شاهدتني لأول مرة أثرا كبيرا تغفل شفاف
قلبك فجعلك تهيم فى أودية الخيال وأن سعادتك تتوقف على كلمة واحدة
تخرج من بين شفتى

حرضتني بعد ذلك أن اطلق نفسى من زوجى بعد شهرين من شفائه
ولكننى فى ذلك اليوم لم أشأ ترك زوجى بل فضلت خيانة عهود الزوجية
لانقد زوجى وابنتى

حدثتني أنك كنت تحمل زوجى وتحبه ، وأنك كنت تخلص له وتعدده
كابنك وهو الآخر كان يشاركك الاخلاص فاعتمادا على ذلك كتبت لك هذا
الكتاب أحدثك فيه عن نفسى وعن ما أرجوه منك .

تعلم ياسيدى انى وان كنت لا أحب زوجى الا أنى كنت أخلص له
كل الاخلاص ، وأرعى عهود الزوجية ولذلك لم أبج لنفسى تطلقه مع انى

— ترى ياسيدى كيف انه أصبح لا يرجى منه نفعاً ؟
— ان الصدمة أثرت عليه فأصبح لا يذكر شيئاً من ماضيه
وما العمل ؟

— لأمل فى شفائه . ومع كل فسأستشير فى أمره جماعة من كبار اطباء
الاجانب الذين وفدوا قريباً لمصر .

— أنى أضرع اليك أن تبذل جهدك لشفائه . أبذل كل ما أستطيع لتشفيه
لقد ضحيت من أجله بكل شئٍ وسأضحى بما تطلبه حياته من التضحيات
مهما عظمت

— سوف أبذل جهدى فى ذلك . والآن أستأذنك فى الذهاب
— اذهب صحبتك السلامة ولتكن مسألة زوجى أولى مهمك

استشرت أكثر الاطباء فقرر الجميع أن لارجاء فى شفائه بل أن ساعته
حانت فلا ينفع فيه طب ولا دواء وسوف بسلم الروح فى احدى نوباته دون
أن يتألم ألماً جديداً .

تفدت إرادة الله فى زوجى صباح يوم الاثنين عاشر ابريل ... فأصبحت
بذلك وحيدة فى هذا العالم .

لم أربدا من الكتابة للطبيب والتضرع اليه وعرض نفسى عليه ليتخذنى
زوجة . فان فعل أكون سعيدة .

انى لأحب الطبيب ولكن زواجى به لا بد منه . سأكون له زوجة
وسأبذل جهدى لاجمله يقبل فان رفض ان رفض طلبتى وكان لا يزال
حافظاً لسرى فسأحترف مهنة التدريس فى البيوت الكبيرة ، أحترف هذه
المهنة لأعول ابنتى ونفسى ، فان كان قد أفشى سرى وتحذت بما كان ومالم
يكن فى هذا الوقت ، وفى هذا الوقت فقط سأكون نذيرة فساد رسولة

تذكرني ؟

— لا أذكر أنى تزوجت

— ألا تذكر شيئاً عن ماضيك ؟

— لم أذكره ؟

— لاني أريد أن أعرف شيئاً عنه

— آسف انى لا أذكر شيئاً

— ألا تذكر والدتك ؟

— والدتي ! والدتي ! لا أذكرها

— دعنى أذكرك قليلاً ! قليلاً !

— والدك الضابط الذى

— والذى ، والذى لا أذكر شيئاً

— ألا تذكر السيد الجالس أمامنا ؟

— السيد . . . ! السيد الجالس أمامنا ، الطبيب الذى يعالجنى ، أراه

ضحية وعشية

— الا تذكر شيئاً آخر عنه ؟

— أذكر أذكر لا أذكر شيئاً

— ألا تذكر انك كنت تتردد على نادى

— أتردد ، أتردد على نادى ، لا أذكر . . .

— حسناً لنضع الماضى . ولتعرف أن هذه ابنتك وأنا زوجتك والسيد

الجالس أمامنا صديقك وطبيبك

— أذهب لتنام ؟

— نعم .

— اذهب بصحبتك السلامة

ولما قام وجهت خطابى للطبيب قائلة :-

أراد أن يسلب عفتي ويهتك عرضي فاستمعت له ، استمعت له لاني لم أجد مفرأ من ذلك . لان نفسه الخبيثة شاءت أن يكون تسليم نفسي ثمناً لعامله . وهكذا أصبحت الصناعات تجارة مزريه بالشرف ، وهكذا أصبح بعض السادة الاطباء يسنون قوانين جديدة للمرضى ، ويفرضون تنفيذها اماطوعاً أو كرهاً . تناقض القوانين التي يسنونها ، العهود التي قطعوها على أنفسهم في بدء حياتهم . تباين الاقسام التي أقسموها عند تسليمهم اجازة تعاطى هذه المهنة ، مهنتهم من أشرف المهن ان لم تكن أشرفها ، لكن الشهوانيين منهم شو هوها لانهم لا يخدمون المرضى لكنهم يخدمون مصالحهم الشخصية ، فان جاء من باب خدمة مصالحهم الشخصية خدمة المرضى عملوا الواجب عليهم .

تمائل زوجي للشفاء لكنه كما قدمت أصبح لا يرجى منه نفعا ، وكثيرا ما كنت أحاول أن أذكره بالماضي لكن عبثاً حاولت . واليك بمضامن حديث تجاذبناه نالك يوم تماثله للشفاء وكان بحضرة الطبيب (الكريم) ، وكنت أحمل طفلاتي بين يدي وزوجي جواري والطبيب على مقربة منا .

ابتدأت الحديث فقلت :

— أزي كيف أصبحت ابنتنا جميلة ؟

— حقاً أنها ابنة جميلة فامن تنتسب ؟

— هي ابنتي وابنتك ؟

— أأنت زوجتي ؟

— ومن كنت أظنني ؟

— كنت أظنك قريبة لي .

— أنا قريبة لك ؟

— نعم قريبتي

— لا لست قريبة لك فقط بل أقرب الناس اليك . انى زوجتك ألا

الوفاة

قضت الإرادة الالهية أن تنجح العملية الجراحية . ولكن الله الذي شاء نجاحها لم يشأ — الحكمة أجهلها — منح زوجي الشفاء . فأصبح لا حياً رجى ولا ميتاً ينمى . فقد شعوره ونسى كل ما حوله نسي ماضيه . نسى زوجته وابنته فأصبحت في نظره كالغريبة عنه لا كأقرب مخلوق اليه . أما ابنته الوحيدة فكان لا ينظر اليها النظرات الأبوية التي تذيب قاب الجمد . وليت الامر وقف عند هذا الحد فحسب بل تمداه لنوبات متقطعة كانت تمتريه أكثر الاوقات وأصبحت تلك النوبات صديقة ملازمة له ويألها من صديقة يعاف الانسان مصاحبته .

شاء القدر أن تكون التضحيات التي أقدمها لا تمن . فالتضحية المادية التي تستنزف كل اموالى وامواله حتى حلاى واثاث منزلى ، التي تصيرنا فقراء بعد ان كنا اغنياء وتصير ابنتى التي لا تزال في المهد لا تملك لاقليلا ولا كثيرا التضحية المادية التي تنقلني من الغنى للفقر من القصر للكوخ . من السعادة للشقاء . التي لم اعتدها حتى اليوم والتي سأقاسى كثيرا حتى اتعود عليها ، تلك التضحية قبلت تقديمها بكل سرور . اما التضحية الادبية ، التضحية التي لا تمن ، التضحية التي تنقلني من حياة الطهر لحياة العهر ، وتصم شرفي بوصمة العار وتضطرنى ان احنث باليهود التي قطعتمها على نفسى يوم عقد القران وتقضى على شرف ابنتى التي لم تجن ذنباً تستحق عليه هذا العقاب الصارم ، وتقضى على شرف زوجي الذي يظنني حتى الآن راعية لمهده ، محافظة على عرضه وعرضى ، احجمت عن تقديمها بادىء بدء لكنى بعد ذلك لم اربدا من تقديم نفسى على مذبح الشهوة ، كما اراد الطبيب . . .

لا الا ! ان هو الا اعجاب فحسب كيف ، ما يمكن لي ان احب الدكتور يوماً ما .
لم ادر اذ ذلك ان ما اختمر في نفسي من عوael الاعجاب به ، كانت نواة
محنة صحيحة ، ظهرت على اثر توسلاته ودموعه وآلامه التي سكبها عند قدومي
ذلك اليوم المشئوم .

المرأة الضعيفة ، المرأة العاجزة ، المرأة المسكينة ، لم تستطع أخيراً أن تثبت
في نضالها وأن تجاهد حتى النهاية
نظراته الفاتكة هي التي أودت بشرفي في تلك الساعة ، لانها كانت سهاماً
مسددة نحوي في ساعة عجزى فأسرنتي فأصبحت ذليلة ويا للعار .



بك أنت فقط ، ففي يدك خلاص نفسى وفي يدك سعادتى وشقائى
هاقد أصبح زوجك لايرجى منه نفع على ان شفاهه ونجاته تتوقف على
كلمة واحدة تخرج من بين شفقتيك

أنا لأملك شيئاً من حطام هذه الدنيا الا أزلني صناعة نافعة أستطيع أن
أعيش بها بهناء ورغد ويحيا بجاني كذلك من أبسط عليه يد حمايتي
قد أفضيب اليك بمجمل ما تنطوى عليه جوانحي وعزمت على أن لأبأدر
بتطبيب زوجك وانقاذه من مخالب الموت الا بشرط واحد . هو أن تكوني
لى اماخيلة أو حليمة . فأن قبات أن تكوني زوجتي فلا أيسر من ذلك لانك
تستطيعين أن تطلقي نفسك منه بمد شهرين من شفائه حيث أن عصمتك
في يدك أما اذا كان هناك ما يمنحك من ذلك فلا أقل من أن تقبلي الشرط الاول
عند ذلك علمتني سورة الغضب ولم اتمالك من الصياح في وجهه

وأذكر أنى كنت ساءتئذ جافة شديدة اللهجة ، سليطة اللسان ، استعملت
في تأنيبه وتعنيفه قارص الكلام ، وشديد التوبيخ إلا أنه ظل مكابراً مجاهداً
تارة يوعدني وأخرى يتوعدني وهو من حين لآخر يتذلل لى ويحثو عند
قدمي يشرح لى مكنون فؤاده ولواعج غرامه ويحاول أن يستميلنى بألفاظه
العذبة ، وأمانيه المعسولة ، إلا أنى ظلمت إزاء توسلاته جامدة كالصخرة التى
لا تتزعزع من مكانها ولكن الى متى ؟

لكل شىء حد يقف الانسان عنده ولكل أمر غاية ينتهى اليها ، والمرأة
مهما أخذت من قوة وجلد أمام الرجل ، فهى ضعيفة عاجزة عن صدهج جمانه
فى أوقات ضعفها .

وهنا يجدر بى أن أعترف لقرائى بأننى كنت أشفق عليه فى بعض
الاحيان وانظر الى نور الشباب المترقرق فى وجهه وشعلة الذكاء المضيئة فى
عينه فتأخذنى رجفة من راسى حتى اخمص قدمي ويستولى على شعور غريب
وتتبطن نفسي ، بمنازعات واحساسات مختلفة ، أرفع على اثرها رأسها فأقول :

وفعلا تم ذلك وخسر زوجك كل ماله ثم اختلى بنفسه وأطلق المسدس على رأسه خلف الاذن . فأسرعت اليه واستطعت بمساعدة الاطباء أن أقلل النزيف ولكن فضلا عن الاجراءات المعديدة التي اتخذتها الجمعية التي اجتمعت لهذا الغرض قررت بالاجماع انتظار قطع النزيف وبعد ذلك أباشر عمل العمليه الجراحية الخطرة التي أخذت على عاتق وحدي عبء نجاحها ذلك موجز عما حدث ياسيدتي ولكن لي بمد ذلك حديثاً طويلاً وأوجهه إليك

تعلمين أيتها السيدة أن زوجك قد استنزف القمار أكثر أمواله في الشهر الفائت فقد كان يبذر كثيراً ويصرف من غير حساب حتى أنه كان ينفق يومياً أكثر من خمسين جنيهاً . أما مجموعة أصدقائه فسكانت من أردأ الناس طباعاً فأوقعوه في مشاكل عديدة ثم أنفضوا من حوله بعد وقوعه في الكارثة ولو قابلوه الآن في الطريق لصرفوا وجوههم عنه . لا يكلموا أنفسهم حتى مشقة تحيته ولم يبق له من أصدقائه سوى والمهندس . أما أنا فاعتبر نفسي أكبر من صديق فهو بمثابة أخي الصغير او ولدى العزيز ولا ادري كيف يكون مصيركما . أنت والطفلة - وقد بلغتما هذه الحالة من الفقر ، كان الامر هينا لو أن زوجك أتم تعاليمه وكان قادرا على مزاولة عمل يقيكما شر الفاقة ولاكنك تعلمين أنه ليس كذلك

وكم تكون حياة أمثاله المتودين الرفاهية ، شقية مضطربة ؟ انى كنت من المخلصين الناصحين ولكنك لم يعرنى سمعه وقد أخذت على عاتق اجراء العملية - على خطورتها - التي تخلى عن مسؤوليتها بقية زملائى من الاطباء الذين اجتمعوا لهذا الغرض ولم لك فى نفسى من الحرمة والاحترام قبات هذا الامر الشاق

أنى أجلك لحد العبادة وقد تركت صورتك فى نفسى عند ماشاهدتك لاول مرة أترا كيبيرا تغفلن قلبى وجعلنى أهيم فى أودية الخيال فلا أحلم الا

١
فان سفهنا آراءكم ودحضنا مزاعمكم قلمتم أننا اميون لم نتعلم ونترب . فان قلنا ان زهرة ابناثنا في كلياتكم وجامعاتكم الدراسية . وان كثيراً منهم حاز قصب السبق على اهل وطنكم انفسهم . قلمتم : هذا يحتاج الى برهان أو ادعيتهم ان من يفوز لا يكون مصرياً بل اوربياً — اى تركيا — وان اثبتنا لكم بالبراهين الدامغة انهم مصريون عريقون في المصرية رमितهونا بالنعصب الذي فان اثبتنا لكم دمانه أخلاقنا ووداعتنا ومسالمتنا للأجانب وبعدنا عن التحيز ولا كرامنا للضيف . قائم قد يكون ذلك لكننا لانسلم به ولاكن عقلاء كم انفسهم لا يسلمون بما تدعون من الكذب والبهتان

— عفواً ياسيدى ما كنت أقصد ان أسبب لك هذه الاساءة لأنى ظننتك تركياً وعهدى بالتركي يزدري المصرى

— فرية اخرى تصمون بها التركي واحتقاراً آخر تحمقرون به المصرى
الأفاعلم أن هذا خطأ فالتركي يحترم المصرى والمصرى يبجل التركي وقد عاشا سوياً أجيالاً عديدة

أردت أن أضع حدا لهذا الحديث المملوء شجوناً على مصرنا العزيزة ففقطعت حديثهما قائلاً — لاسيما وقد لاحظت أن زوجك لم يكنه ثورة الغضب — هيا بنا نيمم مائدة القمار فان الجمع قد انتظم

لاحظت ابتسامه ازدراء ارتسمت على وجه الأجنبي . لم أعرها وقتها شيئاً من الاهتمام لكنى فكرت فيها كثيراً بعد ذلك ، فاستطعت التكهّن أن هذا الحديث المشجون ماهو الاحتملة مدبرة لايقاع بزواجك في شرك نصبه له جمعية لصوص من الأجانب اللابسة ملابس الاشراف

ذهبنا للمائدة الخضراء وباليقينا لم نيمم ناحيتها لأن ذلك الافرنجى كان رئيس جمعية من لصوص أجنب تريد الايقاع بزواجك فكلفت هذا الرجل الذى تعرف بزواجك من زمن وجيز لهاجة عواطفه لانها علمت أنه عصبى المزاج ولأنها وثقت أنها بهذه اللعبة تستطيع الاستيلاء على ماله من طريق شريف

فوق آلاي

— ذلك ما سوف أنحاشاه

— لا عدمتك من صديق مخلص

— يمت مع زوجك عصر اليوم المشئوم نادى . . . وبعد ان استرحناه

قليلا حضر أحد أصدقاء زوجك من الافرنج وفتحة الحديث فقال :

— هل يسمح السيد أن يلعب معي دور بلياردو

— ولما جبل عليه زوجك من كرم الطباع ولأن السيد الأجنبي أشرف

بمعرفة قريباً لم يجد بداً من اجابته لطلبه

— ذهبنا لقاعة البلياردو وبعد أن لعبا دورين تجاذبا أطراف الحديث

وكنت أسمع حديثهما عن كتب فسمعت الحوار التالى الذى ابتدأه الافرنجى

— هل السيد مصرى أم تركي ؟

— قبل ان أجوبك على سؤالك اسمح لى ان أوجه لك سؤالاً آخر

— ما السبب الذى جعلك تظنى تركيا ولست مصرىا مع أن ملامحى تدل

على أننى مصرى ؟

— أظنك خاطئاً يا سيدى لأنى لا أظن أن هناك مصرين بهذا الجمال .

لأننا نسمع ونقرأ ان المصريين أناس يضرب لونهم للسحرة التى تكاد تكون

قريبة من السواء . فضلاً عن ان أخلاقهم ليست وديعة فهم بكرهون الأجنبى

مهما كان ومهما كانت وداعته

— اعلم أيها السيد الأجنبى الكريم اننى مصرى صميم ، عريق فى المصرية

هذ القدم . واسرتى معروفة منذ عهد بعيد بتأهيلها للغريب وحسن معاملة لها

للأجانب فهى مثال الوداعة والتسامح ، لله أنتم معشر الغربيين لا تزالون

تصموننا بالعيوب وتهموننا بالنهم الشذية . فأحياناً تمثلوننا كزئوج افريقيا

حفاة عراة الاقدام لا يستر جسمنا الا قطعة من القماش صغيرة فإزارددنا هذه

التهمة وأثبتنا اننا متمدينون ادعيتم باطلا اننا نستكن اكواخا من القش والبوص

فوق مذبح الشهوة

يذكر القارىء ذلك الطبيب الذى نوهت بنبوغه وعلمه . صديق زوجي
ولقد ساقته العناية الالهية ليأخذ بيدي عند الولادة فلولاه لكنت فى عداد
الاموات . فبمهارته وعلمه استطاع ان ينشلنى من الموت فوضعت الطفلة سالمة
وفى صباح اليوم التالى سألت عنه فقبل لى .

— لم يحضر بعد لكن حضوره منتظر بين آونة وأخرى
وبعد ان انتظرت بضع دقائق اعلنتني الخادمة بقدميه ولما دخل على
قال لى :

— أسعدت السيدة صباحاً . وآمل أن تكون فى صحة جيدة
— هذا مالا أظنه مادام زوجي مريضاً . حياته مهددة بين آونة وأخرى

بازوال

— لنخلد السيدة للطمانينة ولتلتزم السكينة . فانى أود أن ألقى على مسامعها
شيئاً عن الكارثة الأليمة . ثم استطرد بعد الاجراءات التى اتخذتها وقت
حدوثها وبعد ذلك أعدد ما يتبع ثم اعرج على الضمانات التى يجب أن تؤخذ
حتى يمن الله عليه بالشفاء

— تفضل بالكلام فكلى آذان صاغية . اسرد ما شئت . وليكن كلامك
صريحاً

— هذه هى خطتى على الدوام

— شكراً لك يا سيدي النطاسى . وآمل ألا تسبب لى قصتك آلاماً

الفساد بفساد أعم ، وأهتف هذا هو الناموس ، وأغالب الجريمة بجريمة أكبر
وأصرح هذا هو العدل

وقفت أتفكر فانهمرت الدمعة من عيني واجبتها في الحال :

— الشريعة التي تعلم الفساد فاسدة ، والناموس الذي ينشر الشر شرير ،
والعدل الذي يدعو للجرم مجرم

ثم تقدمت الثانية نحوى وقالت لى بصوت رقيق خافت :

— أما أنا فان قبلت نصيحتى وسرت فى الطريق التي أرسمهالك أصبحت
خاضلا كريماً تجسد السعادة والراحة فى العمل
فسألتها من أنت ومن تكونين ؟
قالت :

— أنا الآخرة أقابل السيئة بالحسنى ، وأقول هذا هو الدين . وأقابل
الحياة بالأمانة ، وأقول هذه هى الرحمة . وأغالب مشتهيات النفس بالقناعة ،
وأصرح هذه الحياة .

وقفت أتفكر فانبجبت الابتسامة من شفتى واجبتها فى الحال :

— الدين الذى يعلم الخير خير . والرحمة التي تنشر الامانة أمن . والحياة
التي تدعو للقناعة حياة قناعة .

ثم سكن الليل وأطفئت السرج فعدت الى المدينة وانا اقول فى نفسى
لقد اكتشفت سر الحياة »



أنا هي الحياة ! أنا جميلة فتاة ! تعال الى أيها الانسان تصبح سعيدا !
تعال الى فأهبك اللذة والهوى ، وتصبح عشيقى فأحبك ، فاغتم السعادة ..
تعال الى ... وهنا يفتح ثغرها بالابتسامة اللؤلؤية وما أحقر اللؤلؤ حين
يقاس بلؤلؤ أسنانها العجيب وما أشد ما يفتتن الانسان بجمالها الباهر
أشعر انى أخطو اليها بضع خطوات ولكنى أتردد وأرفع طرفى فأرى
عينيهما المتوهجتين بالالغاز . أصبحتا تتوهجان كالنار المحرقة فاكاد أخرج عند
قدمي هذه الغادة الالهية قائلا لها :

أحبك أيتها الحسنة ... لكن ... لا أبالى ... ها أنا آت اليك أريد أن
أتناسى وأكف عن الاستذكار
ولكن ملاحظها تأخذ فى الاكمداد فأرى عوض ثغرها الحسنة المبتسم جمجمة
تكشر عن أسنانها تنهدى على هيكل من عظام واهية فأهرب مرتاعا من
تلك الجثة الرهيبة وأقع على الارض خائر القوى فيتصل بسمى مع الروائح
السكرية صوت لطيف يقول :

— تعال الى يا ابن الموت ، أنا جميلة وأنا أهواك ،

أليست تلك هى الحياة ؟ أم أخطأت تصورها ؟! أما سر الحياة فلم أوفق
اليه ولعل أناتول فرانس وفق لاكتشاف هذا السر عند ما قال :

« خرجت من المدينة وسرت الى الحقول فرأيت بالقرب من تلك السنديانة
القديمة فتاتين جميلتين مقبلتين على فتقدمت احدهما الى وقالت لى بصوت
شجى عذب :

« ان قبلى نصيحتى يا هذا ، وسرت فى الطريق التى أرسمه لك أصبحت
غنيا كبيرا لا أشعر بهم ، ولا تتأثر بألم

فسألتها من أنت ومن تكونين ؟

قالت :

— أنا الدنيا أقابل الشر بشر أعظم ، وأقول هذه هى الشريعة ، وأقابل

سر الحياة

بين الابتسامة والألم رزقت طفلة زادت من هيجان نفسي ، ومرارة التفكير في مستقبل أمري وأسرها ولما رفعت رأسي من الوسادة لأراها ولاقرأ الشقاء في أسارير وجهها ، شعرت أن الحياة جميلة برآها فصببت كل ما في نفسي من العواطف المخزونة فوق ذلك الرأس الاصلع الصغير . شعرت أن الحياة بسمت لها وضحكت ، وقت أن بكت لي وأحزنتني . ولكن بالرغم من ذلك شعرت أن شمس حياتي تشرق من ثغرها وسعادتي تتدفق من بين أصابعها الصغيرة . ولكن والأسفاه هناك سحب ملبد بالغيوم في جو حياتها الجديدة ذلك هو المستقبل رهيب

ما هي الحياة ؟ ولم يخلق ابن آدم ؟ أخلق ليتعذب ويشقى أم لينعم ويسعد
أسئلة عويصة تختلف أجوبتها

« فالحياة تتمثل أمامي كالمرآة الجميلة أو كالامل السرى ، أو كالوحي الالهى
مجلية بالضباب الشفاف وذلك بالضباب هو فيكرى الأئيم يعكر عيني فلا
أستطيع أن أستجلي محاسنها

انى أشعر بألم وضيق وأروم الاقتراب منها لأسألها من هي ؟ ومن تهوى ؟ ومن يستطيع أن يحبها ؟ وأريد أن أقول لها أشياء كثيرة سوى ذلك
ولكن الرهبة تمنعني وتختم شفقتى بطابع السكوت فلا أستطيع سوى اغماض
عيني لأنها لا تقوى على احتمال مرآى هذا الجمال المحرق

اسمع صوتاً رهيباً كالمصفة ، لطيفاً كالأناشيد أول حب ، هائجاً كموجة
يحر لك شاطئ له . . . أسمع صوتها فتجذبني اليها ، بيد أن سمعى يستخلص
منه اللعنات ولكن الصوت يرن في أذنى كالقيشارة قائلاً :

جراة رصاص أطلقه على نفسه ، لأننى عهدت المسدس لا يفارقه لحظة واحدة
ارتيمت على الأرض فاقدة الصواب . وما رجعت الى رشدى حتى وجدت
نفسى بين ذراعى الطبيب ومعه الخادم والوصيفة يحاولون ايقاظى وكانت أول
جملة فہت بها :

— أقتل أم لا يزال على قيد الحياة ؟

أجابنى الطبيب مطمئنا :

— هدئى روعك واحتملى المصيبة بصبر جميل فهو ان لم يمت خالته تنذر
بالخطر ولكن هناك أملا لانقاذه باجراء عملية جراحية خطيرة جئت أستشيرك
فى أمرها .

— ولم أطلق الرصاص على نفسه ؟

— لأنه قامر فخر أموالا تربو على ما يملك

— أخسر كل ما يملك ويزيد ؟

— أقصد ما يملك هو ويزيد

— وكم قدرت خسائره فى هذه الليلة المشئومة ؟

— تربو على الثلاثين ألفا من الجنيهات ! !

— ثلاثون ألفا ؟ أم ثلاثة آلاف ؟ أم عشرة ؟

— لا بل تزيد عن الثلاثين .

— أو اياه ياربى ! ثلاثون ألفا من الجنيهات ! أى لو بعنا كل ما يملك لم يتبق

لدينا الا بضعة مئات منها ، آه ياربى ما هذه المصائب التى تتوالى على إنى أشعر

أن الخاض يندرنى بقدم طفل سيسجل عليه البؤس والشقاء من يوم مولده

حتى اليوم يبعثون .

كم فيك أيها الليل من عابد متعبد يقوم في محرابه متهجدا وقد عفت نفسه الدنيا وما فيها وسمت لدار الخلود يناجى ربه من كل قلبه قائلاً :

(رب أن الخطايا قد أثقلت ظهري وتركت في قابي جرحاً دامياً ، وقد

ثبت اليك يا الهى فعسى أن تخف بالتوبة أوجاعى ، وتندمل جراح قلبي)

فتصعد هذه النجوى من قرارة نفسه الى حيث تلامس السماء ثم يعود

بعد مناجاته فيستغرق فى تأملة العميق :

أيها الليل ! كم تحت أستارك من فتاة بأئمة ذات نفس أسيفة وكبد مصدوعة

على قومها الذاهبين وأهلها الهالكين ؟ كم فيك أيها الليل من فتى حيل بينه

وبين ما يشتهى ووقفت به آماله على شفا اليأس فكان من الخاسرين ؟ لا يعرفك

أيها الليل إلا من جمع بين طرفيك ساهرا متململا يري عجائبك ويرعي كواكبك

يزورك القمر فتشرق له أرجاؤك كما تشرق القلوب بنور الأمل . كم في جنحك

أيها الليل من خليع مستهتر يحرق فحمتك بين بغى يداعبها وكأس يحتسبها

ومائدة قار جلس إليها ثم يؤوب سكرانا طافحا خالى الرأس فارغ الجيب ؟

ليت شعرى لماذا يتخذك الناس أيها الليل مسرحا للهوهم ولعبيهم وخورهم

وتهمتهم ، حيث يمثلون روايات آثامهم وراء سطورك ولا يجدون لذتهم الا

تحت لوائك . وما هذه المذائذ التى يتمتعون بها الا طيف خيال لاحقيقة له

ولكنهم يغالطون أنفسهم ويمنونها عند بزوغ الشمس المشرقة والضوء الساطع

حتى اذا أدبر النهار حولوا هذه الخيالات لليل ، حيث يصورون لأنفسهم من

الأوهام مالا يكون وما لا تدركه الظنون ؟ »

وبعد أن انتهت من مناجاة نفسى زار جفنى سنة من نوم خفيف

ولسكى أستيقظت خائفة وجلة على أثر طرق شديد بالباب ولما فتحت الباب

وجدت القادمة وصيفتى وأيتها ترعد خوفا وتحاول أن تتكلم فلا تستطيع ،

نظرة واحدة ألقيتها على وجه الفتاة الأصفر الممتقع فهمت منها ماذا جرى

تكلمت اما أن يكون زوجى قد قضي نحبه منتحراً أو هو فى خطر الموت من

من هذه التضحيات ولا تزال الحوادث تتكرر بيننا حتى الآن .
ولما كانت هذه الصناعة شريفة وجب أن محترفها شريفاً طاهراً لا يميل
للفسق ولا للشهوات ، يستطيع أن يكبح جماح نفسه فان لم يكن كذلك غداً
شيطاناً رجياً فهل كل الاطباء كذلك ؟ أظن لا بل أؤكد أن كثيراً منهم
لا يحبون إلا أنفسهم ولا يخدمون إلا مصالحهم الشخصية ، ومن باب خدمة
مصالحهم يخدمون المرضى ، أليس كذلك !!

٥

الهاوية

« انتصف الليل أوكاد ، وقل مرور العربات ؛ وأخذت تهدأ أصوات
المتحركات ، وانقطع سير القطارات الكهربائية وخات الطرقات من الغادين
والرائحين اللهم الا القليل ، وكان المطر ينهمل بشده ، وطابرو الطرق يسرعون
في مشيتهم اتقاء المطر المنهمر وأما أنا فكنت أنتظر رجوع زوجي من ناديه
الذي يؤمه وكنت قلقة عليه شديدة الخوف لانه خرج من الصباح ولم يرجع
حتى الآن

دقت الساعة اثنتين ثم أعقبتهما الثالثة ولم يحضر بعلى بعد . فانتابتنى المخاوف
والهواجس . وأخذ قلبي يحدثني بوقوع مصيبة عظيمة سنقضي على بعض تلك
السعادة التي كنت أشعر بها واقفياً ظلالها . أجل لم أكن سعيدة كما يجب ولم
أنل من الهناء القسط الأوفر ، ولكنني مع ذلك كنت مغتبطة أشعر بقليل
من السعادة الممزوجة بالحزن وكنت قانعة راضية .

« أخذت أناجي الليل الذي يسكن فيه الخلى ، لأنه يجمع بينه وبين
مسراته ولذائذه ويأنس به الشجي لانه يفضي اليه بلوعته ويبتثه لواجبه وآلامه

يزيد عن الستين جنبها . وهو وان كان هادى النفس سا كنهاوديماً لطيفاً
الا أنه عند ما يشرب الخمر التي يعيدها ينقلب شيطاناً رجيماً
لقد يعترض على البعض فيقول :

لم تسهب هذه المرأة وتطيل في وصف ذلك الطبيب الماهر وتوجز في
وصف ذلك المهندس الحاذق ؟ ألا يوجد هناك دافع دفعها أن تركب هذا
المركب ؟ ألا توجد أسباب حتمت عليها أن تظن هذا الاطناب ؟

أجل أيها الممرض الكريم هناك أسباب ودواعي ، تضطرني أن أسهب
وأطنب ولو استطعت لسطرت عنه كتاباً خاصاً به يحل شخصيته ويصفهاحق
الوصف . أجل أيها القارئ الكريم لقد كان ذلك الرجل الوحشى والداهية
العظيم سبباً في نقلي من حياة الطهر لحياة العهر . لقد أظهر لي أولاً صداقة
متينة واخلصاً وطيداً واحتراماً كبيراً ، ولكن ظهر لي بعد ذلك انى ضحيت
من أجل زوجى بأثمن ما أمك ، ضحيت من أجله بعرضى وشرفى ومركزى
وسمعتى وسمعة ابنتى التى قضى عليها أن تعيش لاتعرف لها أباً لانه توفى .
ولا أمماً لانها طاهرة فاجرة ! ضحيت نفسى على مذبح الشهوة البهيمية شهوة
بضع دقائق شهوة لا تدوم ، شهوة تقضى على العفاف والشرف وكل ماتملكه
المرأة الا وهو العرض الذى يعد أثمن شئ تملكه

لقد أسهبت في وصف ذلك الذى أسقطنى وحملى تبعة هذا العمل ؛ وهو
يرتفع في ظل التشريع السقيم الذى سن لحماية أمثاله وموتنا الأذى
أنحمل الآن ما أنحمل من الألم وهو يرتفع لايولى على شئ . بل أذكر
أنه لا يعرفنى ولا يبداًنى بالتحية . وان جمعنى واياه مجاس حيانى بتصنع
وتكلف .

يقولون أن مهنة الطب مهنة شريفة يضحي صاحبها راحتها ليربح بنى الانسان
يضحي أحياناً حياته لينقذ مريضاً ، واقدم سطر لنا التاريخ حوادث عديدة

الشروط وقد حدثتنا في أول مذكراتها أنها تربت في إحدى المدارس الفرنسية فكان الاجدر بها ألا تشدد في ذلك.

عزواً ياسيدى المعترض النبيل لقد تربيت في المدارس الفرنسية ، وكنت في جو أفرنجى ، ووسط عادات أجنبية ؟ ولكن في الوقت نفسه كنت مصرية ، مصرية قبل شئ ، مصرية في عاداتي ، شرقية في طباعى لم تؤثر في العادات الفرنسية ولم أقتبس الا المستحسن منها ولم تكن لغتى خليطاً بين العربية والفرنسية أو فرنسية بمحنة بل كانت عربية مصرية .

ويسرنى أن أقرر أن الصديقين المحيمين لزوجى كانا فيلدين الا أن بأخلاقهما بعض شذاذة ، فأولهما الطبيب النطاسى الماهر خريج أعظم كليات فرنسا ، والعضو في أغاب جمعياتها ، والمتمرن في كثير من مستشفياتها ، كهل في العقد الخامس من عمره نقلد وظيفة طبية سامية في القاهرة . وأما سبب تعرفه بزوجى ف يرجع لسن الطفولة لأنه حتى الملاحظة لا يدعو الابنه ولا يسميه الا بذلك الاسم ، أما زوجى فيحفظ له بين جوانحه احتراماً عقلياً وينزله منزلة الاب عند وقوعه في الملمات ، أما في دور الشراب ولعب الميسر فيعده صديقه الصدوق الخالص له جد الاخلاص ، أما جذبته فصرى المولد والتبعية ، تركي الوالدين ، يتكلم الفرنسية والعربية والتركية ، يميل جد الميل للقراءة ويشغف بالمطالعة فهو دائم البحث كثير الاطلاع الا أنه مع ذلك يجد لديه متسعاً من الوقت ، يقضيه في الميسر لانه يغرم به جد الغرم وتماوده أحياناً ثورات نفسية شديدة تكاد تؤدي بحياته ولا أدرى أذلك ناشئ من كثرة الاطلاع أم من أدمانه على لعب الميسر وتتابع خسائره ؟ لانه فضلاً أنه خسر رجل ماله والأملألك التي ورثها عن أهله ، يخسر مرتبه الضخم في أيام الشهر الاولى !!

أما الصديق الثانى المهندس المنقذ خريج إحدى جامعات إنجلترا ، فصرى المولد والجذسية ، لم يخلف له والده الا بضعة مئات من الجنيهات ومرتبه الذى

اعتادت الامة المصرية النبيلة عادات افرنجية مستهجنة ، لا توافق عاداتنا المصرية . نعم نقلنا كثيراً من العادات الافرنجية فأصلحت ما فسد من عاداتنا الا انه توجد بينها عادات ذميمة أفسدت ما توارثناه عن الآباء والاجداد من التقاليد الشرقية ، وتلك العادات يشكو منها الافرنج أنفسهم من الشكوى وأخص بالذكر منها : المحظبات والحمر ، والميسر بأنواعه وما أشبه

ومن العادات الذميمة التي سرت اليها بسرعة مجالسة السيدات لرجال وهذه العادة الذميمة منتشرة بين الاصدقاء في الاسر المصرية الكبيرة ، الاصدقاء الذين يرافقون الاغنياء يلازمونهم كظلمهم ، يصحبونهم في الغداة والرواح ، يضحكون اذا ضحكوا ويحزنون اذا حزنوا ، حياتهم غش ونفاق ، قلوبهم تبطن غير ما تظهر أفئدتهم . ومن غريب أمر هذا الصنف من الناس أن بعضهم من المتعالمين .

كان زوجي قليل الاصدقاء ويعاشر صنفين منهما ، أحدهما مقرب اليه يخلص له كل الاخلاص والآخر يعرفه معرفه سطحية ولقد أحب أن يقدمني للقسمين لكنني ما ظلت ، ورأيت أن لا أجيب طلبه ولما تشددت اصراراً وصارحته أني لا أقابل سوى اصدقاء الصنف الاول وهم المخلصون لا سيما وقد كان عددهم قليلاً .. اثنان فقط —

وقبات ذلك خوفاً من ثورة غضبه ، بعد ان تبينت أن خلقهما لا بأس به . وعلى شريطة ألا أقابلهما في غيابه ، ولا آذن لهما بالدخول الا وهو بالمنزل ولا أجالسهما الا في حضوره .

قبل تلك الشروط وقابلت صديقيه ولكن ليتني لم أقابلهما ، وليتني لم أعرفهما .

قد يعترض على البعض فيقول :

ما بال هذه المرأة تشدد في مثل هذه الطمبات ، وما بالها تشترط هذه

خلفت لى والدتى ٥٠٠ فداناً أما والدى فترك ما يقرب من ١٠٠٠ جنيه .
ولكنى سلكت مسلكاً وِعراً تراكم علىّ من جرائه دين ثقيل بلغ مجموعته
زهء ١٠٠٠٠ جنيه لاني كنت أصرف شهرياً أكثر من ٨٠٠ جنيه على
أصحاب السوء .

هذا حساب دقيق عن ماليتي فلتتصرف في فيه بتدبيرك . أما مالك فلك .
لا أصرف . منه مليماً وان شئت فليكن هبة منك لأولادنا ان قدر الله لنا ذرية
ونسلاً ، أما أنا فساأجتهد فأسلك سبيل الهدى والرشاد وأقلع عن طريق النغى
والفساد . ولذلك أقتراح أن أبيع بعض ما أملك لأسدّد الدين ثم نعيش
هادئين قانعين بما يبقى .

— نعم الاقتراح ونعم الطريق السوى ونعم الرأى السديد ونعمت
العواطف .

— اذاً هيا نرفع أيدينا ونطلب من العلى الاعلى أن يسبغ علينا السعادة
ويهبنا من لدنه قوة .

وكان هذا الدعاء الجميل بدءاً شروق حياة سرعان ما احتجب ضوءها .

٥

صفحة من حياتي

أشرقت شمس السعادة في ربوع دارى وانتشر السرور في جوانبه ،
ولازمنى زوجى بضعة شهور تقرب من السبعة ، شعرت فيها براحة البال
وهدوء النفس ، ومنذ تلك الايام أخلصت له أيتما خلصت أما هو فقابل اخلاصى
بعطف ولكن سرعان ما توارت شمس السعادة بسرورها وهنائها وحل
الشقاء محلها .

ولكن هل تعاهدنى بشرفك ، شرف آبائك وأجدادك ألا تذهب عند السيدة كاترين وهاك خطابها الذى تعلنك فيه بقطع الصلات .

— ماذا تقولين عن كاترين أمجدة فيما تذهين ؟

— غاية فى الجد وهاك البرهان .

قرأ الخطاب وما أتى على آخره حتى اعتراه ذهول ووجوم واكتئاب
ولكنة قال وعلامم الجد تبدو فى تجاعيد جبهته :

— أقسم لك بأغلظ الايمان انى لن أسدد خطاى نحو غرفتها وأزيد انى
لن أطرق باب بنى أخرى .

— جميل قولك هذا لكن أتعاهدنى ألا تشرب الخمر ولا تلعب الميسر
ولا تبسدمالك وان كان ولا بد من احتساء بنت الحان فليكن غاية فى
الاعتدال ؟

— هذا ما لا أستطيع أن أعدك به وعداً صادقاً . وكل ما أستطيع
أن أعدك به هو انى أحاول أن أفعل ذلك فان أخفقت أخطأت غير عامد .

— الآن وقد أصبحنا شريكين وصرنا زوجين ، فأود أن أطلعك على
دخائل أمرى وأضع بين يديك كل ما أملك ، وفى الوقت نفسه أود أن
تكشف لى الستار وتميط اللثام عما تبطن وتحفى فتظهر لى كل ما لك وما عليك
وها أنا ذا أبدأ لك بالبيان :

— ورثت عن والدى ١٢٥ فدانا و ٨٧٥ جنياً مودعة فى المصرف الاهلى
والمزى الذى كنا نساكن فيه .

— حسناً يا عزيزتى . رجوتينى أن أكشف لك الستار عن أمور لا يعرفها
أحد وكنت قد أخذت على نفسي عهداً بكتامها . ولكن لما طلبت منى هذا
الطلب بصفتك زوجى فضلا عن تصريحك الثمين الذى أعقبه فلا أجد مندوحة
من القول .

يعلموها أمارات الفرح والغبطة والهناء . المحتفلون مسرورون مبتهجون ، بينما أنا واجهة حزينة مطرقة . أفكر في أمسي القريب ، في موت والدتي ثم والدي . ثم زوجي الجديد المبذر الفاسد الاخلاق ، السيء الطباع ، وأفكر في المحظية التي حاولت اصلاحه فلم تفلح وشرعت في تهذيبه فأخفقت .

انتقلت من منزل خالى الى منزل زوجي . وأنا لا أزال كئيبة كاسفة البال . تتساقط من عيني الدموع .

قضى الاحتفال دون أن أشعر بانقضائه ، وطلبت لأزف وأقابل زوجي لأول مرة . وما انقضت مراسم العرس حتى دخل زوجي مرتديا حلته السوداء وكان جميلاً فاتناً . دخل على ورجلاه لا تطاوعاه على المشي فحسبته خجلاً متردداً كعادة العرسان . ففرحت في نفسي ولكن لم يتم سروري لانني تبينت أنه يترنح من شدة سكره . تأبط ذراعي وقادني لغرفة النوم حيث ارتمتي على المقعد ثم تقايا وبعد ذلك نام نوماً عميقاً حتى مطلع الفجر .

قضيت ليلة عرسي ساهرة أرقب النجم في عدياء سماءه ، ذاكرة عزيزي ، باكية حر البكاء لا بثرة كذلك حتى تبددت جيوش الظلام ، وأخذت خيوط الضياء تلوح في الافق .

أخذ زوجي يتحرك وأتمت ايقاظه دمعة حارة من دموعي التي سكبتها عيناي الحزينة وتأوهاتى المنترعة من صدرى المفؤود . فمالك صوابه ورجعت اليه بعض عواطفه النبيلة فقال :

— عفواً زوجتى . أسألك أن تغفرى ذنبي ، وتجاوزى عن خطيئتي ، وتصفحى عن ذلتى ، وسأجتهد أن أكون لك نعم الزوج المخلص الساهر على راحة زوجته ، الباذل جهده فى محبتها والاخلاص لها .

فأجبتة وأنا متأثرة من كلامه :

— كلام جميل ، ووعده أجمل ، ومستقبل سيكون حميداً ؛ بلونفذت ماتقول

الدمع مدراراً فحت بعضاً من سطور الخطاب الهادم لآمالى . وبينما أنا مستغرقة
فى الحزن اذ سمعت وقع أقدام أعقبه نقر خفيف .

ثم فتتح الباب فاذا بى أرى والدى أمامى واجماً حزيناً كئيباً تترقق الدموع
فى عينيه ، والدى الجندى الخشن الطباع الآمر الناهى الذى لم أره يا كياً الا
اليوم ، والدى الذى يبقر البطون ويظير الرقاب ، رأيتـه واقفاً أمامى باكياً
فهرعت اليه وجثوت تحت قدميه وسألته ما خطبه ؟ فقال لى بصوته الاجش
والعبرات تخنق صوته :

تشجعى يا بنية فقد ماتت أمك

ما كادت تصل هذه الكلمات الى أذنى حتى صعقت فى مكاني ووجت
ونالنى ذهول . حاولت أن أتكلم فلم أستطع ، حاولت أن أبكى فلم تسعمنى
الدموع ، وقد كانت تلك الحالة من أشد الحالات لوعة وموقفى فى تلك
اللحظة من أشد المواقف هولاً .

قضى الأمر وذهبت والدى الرحيمة ، ذهبت من كنت أدخرها لوقت
البؤس والشقاء ، ذهبت من كنت أود أن أفضى اليها بسر هذا الخطاب .

لم يمض أسبوعان على انتقال والدى الى العالم الابدى حتى لحقها والدى
بعد أن مرض مرضاً أعيا الاطباء وهكذا قدر على بالشقاء منذ الصغر .

تأجلت حفلة الزفاف بحكم العادة التى جرى عليها المصريون الى ما بعد
عام ، قضيتها فى منزل خالى عانيت أثمانها صنوف الحزن وألوان الشقاء .

أقيم أمام المزق سرادق نغم وزين الشارع بالرايات والمصابيح وزغردت
النساء ودقت الطبول وصدحت الموسيقى وتعالـت أصوات الهتاف وأنبل الناس
من كل فوج يحتفلون بالعرس ، فكنت لا ترى لا وجوها باسمـة وأسارير

حضرة الآتسة المهذبة

سمعت ذلك الخبر الذى قضى على ؛ وعلى ما كنت أرجوه من حياة سعيدة
— كما أفهمها — فى ظل ذلك الشاب الجميل وزوجك الجديد
انى محظية افرنجية رأيت زوجك فأحبهته ولا أدرى هل أحببى أم لا ،
بل كل ما أعرفه هو أنه أخلص لى حتى الساعة فاطلعنى على دخائل أمره وخفايا
نفسه حتى أخبرنى بخطبته لك ثم عقد قرانه بك ولما كنت أعرف كل أمره
أحببت أن أعرفك بطرف من أخلاقه وسجاياه لا قوم بمخدمة نحو فتاة شريفة
على وشك الزواج بفتى غر سكير ، مضيع ماله ، متلاف لصحته ، مطلق
خليلاته ، قليل الصبر على معاشره محظياته ، رمته المقادير بين يدى فاستطعت
أن أردعه قليلا لاختصه لنفسى ولقد أخلص لى هو بعض الاخلاص . أما
أنا ففتحته فلبى وأحبهته لنفسه لا لماله وجماله ، ولكن ما بذلته من الجهود
فى سبيل اصلاحه لم يشمر ثماره المنتظرة ، لان الشر متأصل فى نفسه كما من فى
فؤاده على أنى لم أياس من اصلاحه بل ثارت فى جهادى حتى استقام ما اعوج
من أخلاقه قليلا ، وتبدلت طباعه الشرسة منذ ذلك اليوم الذى عرفته فيه
والآن وقد أصبحت بحكم الشرع زوجته فانى بكل اخلاص واحترام أردت
اليك وسأحاول نسيانه ما استطعت الى ذلك سبيلا ، لاهية بغيره معرضة عنه
واعتماداً على أخلاقك الرضية ونفسك الطاهرة الكريمة ، آمل أن تنمى
شفاءه فيرجع عن غيه ، ويتموب لرشده ، ويؤوب لمنزله حيث يجسد زوجته
المخلصه البارة الطيبة لامره المنفذة لرغائبه ومطالبه ، وتفضلى يا حضرة السيدة
المصونة بقبول خالص التحيات والاحترام .

كاترين دى ملارى

أستط فى يدى وهجم على الحزن والشتاء بجوشه . وخابت آمالى اللى
كنت أبنى عليها قصور السعادة وصروح الهناء : وتفجرت من عينى ينابيع

قبل الزواج وبعده

أخذ اليوم الذى ضرب موعد الزواجى يقترب ، وأخذت أستعد للحياة الجديدة التى سأطرقها وأصور فى مخيلتى المنزل . ما أجمل هذا الاسم وما أجمل وقعه فى نفسى

المنزل هو ذلك الكن المقدس الذى ترفرف على جوانبه ملائكة الهناء والسرور ، هو تلك الجنة الأرضية التى لا تسمع فيها الارنات سرور وابتسامات حبور ونغمات ملائكة ، المنزل مقصد الزوجين ومأوى البنين والبنات ، المنزل مهبط الحب بكل أنواعه: الحب الابوى الحب البنوى ، الحب الزوجى ، حب الأقربين ، حب مساعدة الصعفاء ، حب مواساة المساكين ، المنزل مدرسة الطفل الأولى ، مدرسه الأخلاق الكريمة ، المدرسة التى تقوم الزوجة فيها بدور الاستاذ الأول ، المنزل المكان الذى يهرع اليه الطفل ان كان خائفا مذعورا ، والزوج ان كان حزينا كئيبا ، حيث يجد كلاهما الملاك الذى يسرى عن نفسه همه وشجنه فيطمئن خاطره وتهداً نفسه ، المنزل مهبط أيام الصبي الجميلة أيام السعادة المتتابعة ، أيام الأمانى والأحلام ، أيام الاسترسال فى المسرات ، أيام النزاع الطفيف ، أيام الشقاق اللطيف ، الذى لا يلبث أن يزول

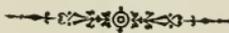
وبينا أفكر فى السعادة التى سأتمتع بها فى القريب العاجل اذ سمعت نقرًا خفيفاً على الباب ، فتحته فاذا هى الخادم تحمل لى خطاباً فرنسيا فأخذته منها وقلبه بين يدي — كما هى عادتى — وقد دلى خطه أن كاتبته فتاة أفرنجية فضفته بقلب وجل ونفس قلقة فاذا به ما يأتى .

المقدسة التي توارثها الآباء عن الاجداد منذ القدم تقع تحت طائلة الاضطهاد فان لم ترم بالفسق والفجور فلا أقل من ترم بالتهور في الحب والعياذ بالله !!
استسلمت لامر القضاء والقدر وأخذت استعد للحياة الجديدة ، وأصور ذلك الزوج في نظري ، فلا أستطيع أن أتمثل له صورة الا الصورة التي وصفتها لي عجوز كانت تتردد على دارينا فقالت لي تصفه :

« طويل جميل ، بدين لطيف ، أصفر الشعر غزيره ، أزرق العينين جميلهما فاتن الوجه ساحره ، مورد الخدين ، مقصوص الشارب ، متأثق في ملبسه ، متدل في مشيته متصنع في حركاته »
وفاتما أن تقول لي : —

سىء الخلق رديئه ، خبيث النفس ، فاسد الاخلاق ، يتعاطى المسكرات الى حد الادمان

وقد أخبرتني بهذه الصفات التي أخفتها عنى العجوز احدى الخادمت ، التي لازمتني أيام محنتي وتعاستي ، ففاتحت والدي في أمره فقال لي :
أجل يا ابنتي أنه لكذلك ولايكن آمل أن يثوب لرشده بالزواج وأنت تكوينين خير معين على اقاتته من تلك العثرة . ولا يعزب عن بالك يا ابنتي أنه كثير المال وفير الثروة صغير السن ، جميل المحيا ، لا زوجة له ولا ولد : ولا أم ولا والد ، بل هو فرد من اسرة كريمة لم يتبق منها الا هو
وبعد حديث طويل نالني فيه كثير من سهام اللوم أذعنت للارادة المقدسة التي لا مرد لقضائها



كان والدي ضابطاً في الجيش المصري وكانت آخر أيامه في الجيش استرجاع السودان فاتم استرجاعه حتى طلب احالته على الاستيداع . فاجيب طلبه بعد تردد طويل وأنعم عليه برتبة القائمقام . أما والدتي فابنة عالم من حماة رجال الدين الحنيف وكانت اسرة والدتي مشهورة في بلدتنا طنطا أنها أقدم اسرة في هذا البلد ، خدم أفرادها الشرع والدين منذ أكثر من نصف قرن .

ولما كنت وحيدة والدي وكان والدي متغيباً على الدوام في الاقطار للسودانية عهد أمر تربيتي وتعليمي الى خالي ، فقام بهذا الواجب خير قيام ، فادخلت احدى مدارس طنطا الفرنسية ، وبها مكثت بضع سنين نلت في خلالها شهادتها الدراسية وتعلمت فيها العربية والفرنسية وبعض الانجليزية ، وعقب نوالى الشهادة لزمتم دار أهلى منتظرة الزوج الذى يفتح باب الحياة الزوجية السعيدة ، جرياً على العادة الشرقية . أخذت استعد للحياة الجديدة ، حياة القبطة والهناء ، حياة الأمانى والاحلام ، فأخذت أهىء نفسى لهذه الحياة ، فاتقنت التدبير المنزلى وأخذت الخطابات تتوارد على منزلنا فرادى وجماعات . ووالدتي وخالى يقابلاهن بالرفض ، منتظرين رأى والدي فى الامر . ولما عاد للوطن أخبرنى بعقد خطبتي على ابن أحد اخوانه الضباط وكان لذلك الزوج الفتى أم توفيت وخلصت له مالا كثيراً وأراض واسعة وكان سنه اذذاك اثنى عشر عاماً وكانت تلك الثروة التى نالها سبباً لان يعرض عن المدرسة ويقع فى المفاسد والشور ، ووالدى رحمه الله لم ينظر اليه من الوجهة الاخلاقية بل نظر اليه من الوجهة المادية

لم أستطع معارضة أبى فى ارادته ، وأية ابنة شرقية تستطيع الوقوف أمام ارادة أهلها فى مثل هذه المسائل وان كانت من أشدها مساساً بحياتنا المستقبلية ؟ فقد قضت العادات والتقاليد الاجتماعية أن نذعن لارادة الآباء مهما كانت قاسية ظالمة . والفئة التى تتأفف وتتبرم وتثور على هذه الارادة

على كل من تحترفها . فهل يسمع الله نداء عاهرة ، وابتهاال بغى تسأل ربها
الكريم أن يحجوا هذه التجارة الخبيثة من العالم حتى تنزل الستار على ما تجره
من المصائب والكوارث؟ (١)

٢

من أنا ؟

يتساءل كثير من الناس فيقول :

من هي تلك المرأة ، وهل حقاً هي تلك المائلة أمامهم بذلك الاسم الذي
انتحلته في حياتها هذه ، حياة البؤس والشقاء ، أم هي شخص خيالي وهمي
لا وجود له الا في مخيلة الكتاب والشعراء ؟

أيها المتسائل الكريم الذي يتوق لمعرفة كنه هذه الحقيقة ويود أن
يعرف من أنا؟ وابنة من؟ وكيف تربيت ودرست؟ وهل أنا متعاملة أم جاهلة
كالكثيرات من طبقتي؟ وما الدافع الذي دفعني لان أزل هذه الزلة التي
لا تشفع فيها الدموع ، ولا تغني عنها مرارة التفكير والآلام .

البعي ان تآقت يوماً الى الشرف حالت دونها الشرائع ووقفت في سبيلها
التقاليد ، أما الشريفة فطريق البغاء أمامها مفتوح على مصراعيه !! تلجه
ان شاءت ولها من نظام اجتماعنا الفاسد مغريات ودوافع ، أيها المتسائل
إليك قصتي :

اني فتاة لست جميلة الى حد الفتنة ، أما أبواي فقد كانا من اسرة عريقة
في النسب معروفة بين غيرها من الاسر ، بما لها من شرف أثيل حتى قدر لها
أن أكون السبب في ازال الستار على سبب حياتها وداعي نخارها بين الناس

(١) بعض جل هل الفصل مقتبس من ذات الكميلييا

ذلك لفررن من هذه الحرفة وفضلن الموت عن أن يسكنها ولكن الغرور
حدثن بما يصبه من ثمين الثياب وغالى الاتاث ونادر الجواهر فاستدرجهن
لذلك استدرجا .

تعتقد الساقطات أن ما يسمعه من الكلام المزوق الجميل المتدفق من
أفواه المتظاهرين مجبهم ، جد صحيح فيبرين لذلك قلوبهن ، ويبلين أجسامهن
ويزوين جماهن فى العهارة ، والرجل يرهب معشر الخليلات رهبتة لالوحوش
الضارية ويحتقرهن احتقاره لرعاى الناس .

يرحم الانسان الاعمى لانه لا يبصر أشعه الشمس ، ولا يتمتع بجمال الطبيعة
وجلالها ، ويرنى للاصم لانه لا يشف سمعه بالنعيمات الشجية والاحلول المطرب
من الالفاظ والمعانى ، ويعطف على الابلعم لانه لا يستطيع أن يرجع أصوات
النفس الحساسة ولا التعبير عما يخالج نفسه العالاية ، لكنه لا يرحم البغى
التي سقطت تبعا لقلب أعمى لم ير الشوك الذى يسير فوقه فظهرت بقلب يظهر
للناس أنه قانع راض بينما يقطر حزنا وأسى . ونفس صماء لم تسمع صوت
طالب الاصلاح الخافت الذى لا يتبين وسط ضجيج أصوات الشرور والمفاسد
والاثام ، وضمير أبكم عجز أن يعبر عن شدة ألمه وقدر حزنه .

يرمى الرجل المرأة بالذنب كانه ويلصق بها الجريمة كاملة ويلقى على عاتقها
التبعة ، فاماذا لا يحكم المجتمع على من مهد لها ذلك السبيل ، على من غرها
بالامانى ، واستدرجها الى سلوك سبل الخطيئة بوعوده الخلالة ، لم ذلك؟ لانه
هو القوى ونحن الضعيفات ، هو الحاكم ونحن المحكومات ، هو الرجل وليس
عليه أن يعابأبانتهاك الشرف ، ويرعى حرمة للعنافة وذمة للعرض ، بل يفسق
ويفسد ويمتهك الحرمات ويرتكب المحرمات ؛ وله من الشرائع الباطلة عون
ونصر .

أجل أنى أمقت حرفتى جد المقت واستنزل اللعنات والمصائب الجسام

١

نفسى الحزينتہ

أظن أننى أول بنى فى أرض الفراعنة خطت مذكرات تكشف فيها الستار عن حالها ومعيشتها ، ولا أعلم هل يتاح لشخص ما العثور عليها ليذشرها بين الناس أم يكون نصيبها الاهمال التام ؟ واذا نشرت فإذا يكون حكم القراء عليها ؟ هل سيكون حكماً قاسياً ظالماً كحكم الايام التى أوجدتني فى مركزى الذى عرفنى بأفراد من كل العناصر أم أمها تلاقى من عطف القراء ما لم ألاق من زمانى ؟

عرفتني الايام بأناس من كل الطبقات والطبائع ولا أبالغ حين أقول أن قصرى الصغير يمه الشريف الحسيب ، والعالم الجليل ، والطالب الشاب ، والموظف الكبير ، والسرى العظيم ، والادارى القدير ، وأمضوا فيه ساعات وأياماً .

فإن كنت بغيا من البغايا الا أننى لست مثلهن ، فلا يتبادر الى ذهن هؤلاء أننى أنكث بعهودى معهم فأبوح بأسمئهم أو ما يدل على أشخاصهم ويذرى بشرفهم ، لاني وان كنت عاهرة الا أن لى ضميراً يتألم ، وقلباً طاهراً يشعر بالواجب .

آه لو علم النسوة اللائى يحترفن حرفتى المخجلة الشائنة التى تقضى على العفاف والشرف ، لو علم ذلك النفر من الجنس اللطيف حقيقتها قبل أن يحترفن لآثرن أن يعشن خادماً أو طاهيات شريفات ، لو عرفن كم من الدموع سكبت ، وكم من الايام حزنت ، وكم من الليالى سهرت ، لو علمن

مقدمة ناشر المذكرات

لست رسول الرذيلة في الكون ، ولا نذير الفساد أو ناشر الغواية بين
الانام ، لكنهما مذكرات احدى بنات حواء ، خطتها أناملها أيام بؤسها ،
وأزمان شقاءها ، وقد اندفعت في تيار العهر والفساد ضحية ظروف قاسية
سببها طيش زوج جاهل فهمي حسرات بغى كشفت فيها القناع عن خفايا عيشها ،
ودخائل حياتها ، وطرفا من أسرار عشاقها ، والمعجبين بجمالها ، أولئك الذين
ارتبطت معهم مكرهة مرغمة ، وما يكتنف هذه الحياة من دموع وآلام .
أقدمها لآبناء وطني دون تغيير معالمها ؛ عبرة وذكرى .

السكاكيني ٥ ابريل سنة ١٩٢١

محمد رأفت جمالي



رأفت جمالى تحت توقيع (أبو نواس) ظهرت فى كتاب كبير الحجم بمقدمة بقلم عبد العزيز افندى الخانجى فى نظرية (السموط والعفوف) وهى كما يقول عبد العزيز افندى . نموذج صغير من كتاب «مرجريت» نرجو لها الرواج والانتشار لانها مظهر من مظاهر نصره المرأة .

(النيل العدد ٦٥ من السنة الثانية)

(٩)

مذكرات بنى أو كما أسميها « مذكرات اجتماعية لا بد منها » هى أحسن مذكرات أدبية قرأتها بل هى روضة فيحاء ، وحديقة غناء جمعت بين الحقيقة والجد والاخلاق والتفاضل بينها ولولا الاضداد ما عرفت . هى دروس عبر ممتعة ممتزج العلمى فيها بالعملى اذ تشرح النظرية العامية وتزيدها جلاء ووضوحا بذكر القسم العملى منها ، فيستفيد الصالح والطالح اذ يزداد الاول بغضا وكرهية ومقتا لتلك الموبقات ويرعوى الثانى ، وربما ازدرج من التشهير والذنى عليها — فله در تلك المذكرات ما أكبرها عظة للنفوس والله منشؤها ما أبرعه من كاتب أخلاقى مجيد .

محمد فريد البليهى .



(٥)

رواية أخلاقية عاطفية بقلم الاديب الاريب محمد افندى رأفت جمالى .
وقد قرأنا عدة فصول فى هذه الروايه . فاذا هى أولى بان تدعى كتابا
أخلاقيا يلىق بأن يقرأ غير مره لطلاوته ولما حواه من الافكار السديده والفصول
المؤثره فنذنى على حضرة المؤلف ونأمل أن تنتفع الناشئة بأدبه .
(مجله السيدات عدد مايو سنة ١٩٢٢)

(٦)

وضع حضرة الكاتب الفاضل رأفت افندى جمالى كتابا حديث الاسلوب
ضمنه بحثا اجتماعيا شائقا على طريقة قصصية وأسماء « مذكرات بنى »
وعنوان الكتاب يعبر عن حقيقة مباحثه وعما أراده الكاتب من الاصلاح
الاجتماعى بتأليفه

(النظام عدد ٢٥ ابريل سنة ١٩٢٢)

(٧)

أهدى الينا حضرة الاديب الفاضل محمد افندى رأفت جمالى نسخة من
مؤلفه الجديد (مذكرات بنى) فتصفحناه ووجدناه كتابا اجتماعيا يصف
حالتنا الاديبة وصفا دقيقا ويظهر ما خفى من أسرارنا التى سببت انحطاطنا
الادبى وهو كتاب جدير بأن يقتنى لموضوعه العجيب ولغته السلسة ،
وألفاظه المنمقة ولعله الكتاب الاول الذى ظهر من نوعه فى قلوب الروائى
البديع فنحث الادباء على اقتنائه

« السمير المصور عدد ١٩ »

« حديقه الفكاهات عدد ٣ »

(٨)

هذه المذكرات التى كانت تنشر تباعا بجريدة أبى الهول بقلم محمد افندى

التي لم تتعود الدخول في محامع الرجال وخاصة الرجال الذين يعتبرهم الزوج
أصدقائه المحبين وثانياً لخطر النساء الساقطات خصوصاً على الشبان .

ولقد وضع جمالي افندي قصة شيقة ممتعة تأسر القارىء بحوادثها الفجائية
التي تتعاقب بسرعة ولقد عالج موضوعه بطريقة حسنة .

« الاجيشان جازيت »

« عدد ١٨ مايو سنة ١٩٢٢ »

مذكرات بنى — بقلم حضرة الاديب محمد رأفت جمالي جعل موضوعه
سقوط المرأة والعلاج الناجع لها لتقال بها عثرتها وترفع من وهدتها فقال في
البيان الذى وضعه لنشر المذكرات .

« لست رسول الرذيلة فى الكون ولا نذير الفساد ولا ناشر الغواية بين
الانام لكنهما مذكرات احدى بنات حواء خطتها أناملها أيام بؤسها وأزمان
شقتها وقد اندفعت فى تيار انفساد ضحية ظروف قاسية سببها طيش زوج
جاهل . فهى حسرات بنى كشفت فيها القناع عن خفايا عيشها ودخائل حياتها
وطرفاً من أسرار عشاقها والمعجبين بجهالها أولئك الذين ارتبطت معهم مكرهه
مرغمة وما يكتنف هذه الحياة من دموع وآلام . أقدمها لانباء وطنى برمتها
بدون تغيير معالمها عبرة وذكرى » (مقتطف مايو سنة ١٩٢١)

(٤)

قصة ممتعة مسبوكة فى قالب جميل مستحدث فى اللغة الغربية بقلم الاديب
محمد رأفت جمالي الذى حذا حذو بعض الكتاب الغربيين فى وصف معيشة
البنى ومشاعرهما ومكنونات قلبها ويظهر غرض المؤلف من الجملة الذى صدر
بها الكتاب وهى « الرجل والمرأة سواسية فى جرم السقوط أمام محكمة
الحقيقة والوجدان » فهذه القضية من أدق القضايا الاجتماعية وأعظمها شأنًا
وقد تناول البحث فيها دائرة من كبار الكتاب العمرانيين ويسرنا أن مصنف
هذا الكتاب عنى بهذا الموضوع » (هلال يونيه سنة ١٩٢٢)

أصبح الناس لا يحترفون الصناعات الشريفة الا من أجل المال أو للمآرب النفسية فالطبيب والمدرس والصحافي والكاتب ، كل أصبح لا يحترف مهنته الا من أجل المال

وانى أعتقد أن كتاب جمالى افندى سيتصفحه عديد من القراء وآمل أن المدرس الذى قدمه لا سيما للشباب الناهض سيقع من أنفسهم موقع القبول .
س . س

« صحيفة الاحبشان مايل »

« عدد ١٤ ابريل سنة ١٩٢٢ »

(٢)

ولقد كتبت صحيفة الاحبشان جازيت عن الكتاب دون أن أهديها نسخه فبرهنت بذلك على عناية جميلة وأظهرت تقصيرى فى هذا السبيل . ولا يسعنى الا اظهار شكرى لجناب مديرها وحضرة من تفضل بكتابة الكلمة .

آلام الحياة الساقطة

ظهر حديثاً فى عالم المطبوعات كتابا مبتكر الاسلوب لكاتب جديد باسم « مذكرات بغى » بقلم محمد رأفت جمالى .

والكتاب مع أنه قصة الا أنه مملوء باخبار عن معيشة المخلوقات البائسة التى تسقط فى هوة الرذيلة مقودة غالباً بغلطات الازواج .

ان بطلة الرواية فتاة تنتمى الى اسرة كريمة تزوجت من رجل لا تحبه ولا تعطف عليه ولكنها أخلصت له ودفعها اخلاصها أن تضحي نفسها ولذلك قدمت شرفها التى تعده أئمن كنز تملكه رجاء انقاذه فسقطت فى الحضيض تبعاً لذلتها الاولى ولكنها ونقت لرجل أحبها وأشفق عليها وأسبل على تاريخها الماضى ذبول الصفح والنسيان .

والكتاب حقاً يلفت النظر أولاً لغلطة اختلاط المرأة المحجبة المصرية

الطبيعة قد اتخذتها محافظة على النسل ، فضلا عن أنها تخار الزوج وشرفه ولقد فات الناس أن الرجل شريك طبعي للمرأة في كل الحالات المعيشية ، ولذلك يجب أن نبذل كل ما نستطيع لنهدم الاماكن العمومية التي تبيح الاتجار بالعرض علنا . فهذه المواخير من أظهر الأدلة على نقص نظمنا الاجتماعية لان انتشار هذه المنازل معناها حماية الرجل والقاء المسؤولية كلها على الرجل وحده وهو هو سبب هذه الشرور .

الرواية قصة امرأة زوجها والذها بشاب لا تعرف عنه شيئا سوى غناه ، وبعد زواجه قدمها بالرغم منها لاثنين من أصدقائه المخلصين أحدهما طبيب ، ولم يمض على زواجها الا القليل حتى خسر ما يملكه في الميسر ثم حاول أن يقتل نفسه ، وفي هذه اللحظة تقدم الصديق الطبيب وأخذ على عاتقه اجراء العملية الجراحية لينجى حياة زوجها على شرط واحد وهو أن تسلم له عرضها ، ولما كانت هذه على وشك أن تصبح أمًا وكانت قد تعامت أن تخلص لزوجها فوجدت نفسها بين متناقضين والسبب السالف سقطت في الهوة العميقة وبعد قليل مات زوجها ووجدت المرأة التي أصبحت أمًا احدى المطرودات من المجتمع ولتكفر عن ذنبها سولت لها نفسها أن تحترف البغاء بعد أن سد أمامها كل طريق وقد حذفها فقدمها لرجال كثيرين متباينى الاعمار فساعدها بذلك على أن تزداد فساداً ولكن الحظ قبيض لهذه المرأة الشقية رجلا أحبها دون أن يعبا بمعيشتها وأخيراً تزوجها بشرط اشترطه عليها والده والكتاب مملوء باشجانها ومن كلماتها :

سعادة المرأة البغي سعادة كاذبة مملوءة بالاشجان وهي تتظاهر بحب الرجل قدر المال الذى ينفقه عليها....

كثير من الخدم تضطر أن تسلم نفسها لدوى نعمتها خشية أن تفقد مركزها ولكنها لا تلبث الا القليل حتى يكشف أمرها فتطرد دون شفقة ولا رحمة....

كلمات الصحف والمجلات

(١)

الآداب العربية

اعترافات بنى

« مذكرات بنى بقلم محمد رأفت جمالى »

« المطبعة اليوسفية بالقاهرة سنة ١٩٢٢ »

فى خلال الصيف الماضى نشرنا تحت العنوان السابق مقالات من هذه القصة عند ما كانت تنشر فى صحيفة « أبو الهول » الاسبوعية التى تبحث فى الامور الاجتماعية وعلى الخصوص ما يتعلق بالمرأة المصرية .

ولقد جمع المؤلف هذه المقالات وطبعها حتى يعرف قارئها وقرأها كيف تنتهى هذه القصة دون أن ينتظروا عدة أسابيع أخرى ليعلموا نهايتها من أبى الهول .

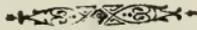
لقد عالج جمالى افندى مرضاً من أخطر أمراضنا الاجتماعية فى قالب روائى ولقد كان الهدف الذى يرمى اليه ليس هو اظهار شرور هذه الطائفة بحسب ، بل تحليل الحالات التى تسبب سقوطهم حيث تقع على عاتقهم الجريمة ، والطرق والوسائل التى تتخذها هؤلاء النساء فى سبيل اغواء من شباهن .
ولقد صدر الكتاب بمقدمة الكاتب المعروف عبدالعزيز افندى الخانجى فقال فيها .

« من الخطأ أن نلقى الذنب كله على عاتق المرأة وحدها — بالرغم من أنها هى التى تتألم — وعلى رأسها وحدها يصب المجتمع جامات غضبه بحجة أن

الاهمال بعد أن تزول جدتها وتذهب نضارتها ، أليس هو الرجل ؟
مع كل ما مر بها من ظلم الرجل وقسوته لها في كل أطوار الحياة لم تهىء
لها الاقدار الا قليلاً من الرجال الذين ناصروها فخللوا دقائق نفسها لينبوا
للناس ذخائر ما تكنه من العواطف والمشاعر السامية وما يؤملها ويفرحها ،
وما يشقيها ويسعدها ، لا سيما تلك التي تسقط لأن لها ظروفاً خاصة تستدعي
الاهتمام والفتات الناس الى خطأ درجوا عليه منذ عهد السلف وهو احتقارها
والاذراء بشأنها مهما كانت الأسباب التي دفعتها الى سلوك هذا السبيل الوعر
فكتبوا في ذلك كثيراً من الكتب وأنموا جملة من القصص ليحركوا شفقة
الرجل عاينها ويزيلوا ما في نفسه من أثر التعصب نحوها ، التعصب الموروث
من آباءه وأجداده

سيد من كتب في هذا الباب هو النايفة العبقري الكسندر دوماس
الصغير نثر الروائيين في فرنسا فان كتابه الخالد (مرجريت) على ما فيه من
الغلو آيه الآيات ومعجزة المعجزات في هذا الباب ، والكتاب الذي تقرأه
الآن هو نموذج صغير من ذلك الكتاب العظيم ، نرحب به ونتمنى له الشروع
والرواج لانه مظاهر نصره المرأة والاخذ بيدها هدايا الله جميعاً
الى سواء القصد ما

السكاكيني ١٩ مارس سنة ١٩٢٢



أما إذا كان الجرم واقعاً من كليهما فعلينا تشريع القوانين التأديبية التي تطبق بالتساوى على الاثنين معاً

يجب علينا أن نسعى في هدم الاماكن العمومية التي تبيح الاتجار بالعرض علناً لأن تلك المواخير ما هي الا مظهر من المظاهر التي تتجلى فيها نقائص نظامنا الاجتماعى ودساتيرنا المدنية كما أسلفنا فان اباحة مثل هذا العمل معناه حماية الرجل من مسئولية السقوط والناء التبعة على المرأة المستضعفة المستذلة ما أغرب حجة الذين يقولون بوجود بقاء هذه الاماكن بدعوى لزومها الطبيعى ! لو كانت الطبيعة فى حاجة الى مثل تلك الاماكن القذرة لما كنا نشاهد كل يوم الوليات والمصائب التي تجررها علينا هذه ولما تصاعدت منها تلك الجرائم القتالة التي تولد الحميات الاجتماعية الفتاكة بالأرواح والنفوس فى حياة المدن والحواضر

اللهم لقد طمخ السكيل ، الى متى ونحن نستعبد المرأة ، نصف الانسانية وتتحكم فيها أما أن الرجل ان يقف عند حده ويمد يده الى تلك التي استعتمها طوال الازمان والاجيال . القى بنظرك على المجتمع فى أى مدينة من مدن العالم المتحضر ترى منازل للدعارة تتنقل فيها تحت ستار البيع

الرجل هو السبب فى هذه الفوضى ، الرجل وحده هو الذى يؤسس تلك المعاهد الشيطانية والاتجد فهل فيها الا امرأة تركت زوجها مرغمة بعد أن ذانت الامرين من سوء طباعه وشراسة أخلاقه ، أو فتاة أغواها سفيه شجعتته قوانين اجتماعنا الفاسد ، أو امرأة التجأت بدافع الضيق الى بيئة أخرى غيرت من طباعها الفاضلة وهيأت لها السبيل الى هذا الطريق

من ذا الذى يشتهى المرأة ويدللها ويخادعها ويسعى لامتلاكها ليطردها بعد أن ينال بنيتها منها أليس هو الرجل ؟ من الذى يفسد على المرأة طباعها الغريزية ويجعلها لعبة يلهو بها فى أوقات فراغه ثم يحطمها أو يلقيها فى زوايا

تأثيراتها العائدة على الافراد ونظروا اليها من وجهة تأثيرها في الاجتماع وبديهي
أن كل منهما مجرم في نظر الاجتماع .

اذن فمسئوليتهما واحدة

حيا الله الشريعة الاسلامية السمحاء فلها تعد الزانية كالزاني ولا تفرق
بينهما في المسؤولية .

أنا نجد أن الاثنين سواسية أمام محكمة الحقيقة والوجدان .

قد يعترض معترض فيقول :

« ترى الرجل يرتكب هذا الجرم فيخرج منه نقياً طاهر الذيل لا لوم
عليه ولا تثر يب بينما تشقى المرأة وتسوء عقباها وكلاهما أتى ذنباً مشتركاً »
مثل هذا نقول أن هذا أمر غير طبيعى وانما يرجع سببه الى فساد
نظامنا الاجتماعى ، فلو نظر الاجتماع اليهما نظرة واحدة وعابهما عقاباً مساوياً
لما وصلنا اليوم الى هذه الحال التى نشكو منها

هب أن الشرائع كانت تحتم على الساقط (١) والساقطة أن يتزوجا بعضيهما
زواجا مقرباً مع حرمانهما من كافة حقوق الطلاق وعدم السماح لهما بالزواج
من آخرين تأديباً لهما : ألا تشعر بأن مثل هذه الشريعة قد تؤدى الى نتائج
حسنة لا تحظر على بال

(١) لم أجد كاتباً استعمل هذه الكلمة بالمعنى الذى نطلقه على المرأة
الساقطة ولما كنت من انقائين بوجوب اعتبار الزانى ساقطاً كالمرأة فلا أجد
مندوحة من استعمال هذه الكلمة فى موضعها هذا

هناك نوع من السقرط تجبر عليه المرأة أى أن يفترسها وحش من بنى
الانسان وهي مرغمة مكرهة ، مثل هذا العمل الشائن تقع مسؤوليته على
الرجل ، أما المرأة فلا يجب أن ينالها أدنى لوم أو ينظر اليها نظرة احتقار
وهوان ، ومنع ذلك عائد على رجال الضبط

وهناك حداً للاصرار والتكليف ، والاغفال والعشق ، واليأس والمقاومة .
ليفكر هؤلاء في حال امرأة هجرها زوجها الى غيرها لا ينيلها ما لها
من الحقوق الانسانية والعائلية ، أخذ حبله على غاربه وانهمك في كل صنوف
السفاهات والشهوات ، مبيحاً لنفسه خيانتها وهي مع ذلك صابرة تقاوم
هجمات سفيه آخر يحاول أن ينال منها ما يديحه زوجها مع غيرها . ليفكر
وينعموا النظر في ذلك ، لتقدير الزمن الذي تستغرقه مثل هذه المرأة في
الدفاع والكفاح !! ! فلا يمكن اذن أن نضمن لنفسنا نتيجة مرضية لحل هذه
المشكلة اذا نحن سلكنا هذا السبيل ، سبيل القاء المسؤولية على عاتق المرأة .
الطريق السوى هو أن نحاول مداواة المرض بالأدواء الناجعة التي تتمشي
مع الحقيقة ولا تحيد عن دائرة النواميس الطبيعية . يجب أن نعتقد تمام
الاعتقاد بأن الرجل أيضاً محتم عليه أن يعمل ما في وسعه لحفظ النوع الانساني
ولوقاية النسل والامامعنى أن يكون الرجل شريكاً طبيعياً للمرأة في كل أدوار
الحياة : في الأسرة ، في الحروب ، في دفع المآلك المادية ، ومقاومة الأضرار
المعنوية ثم لا يعد شريكاً في الدفاع عن مصلحة النسل .

فطر الحيوان والانسان بدافع الطبيعة على محافظة كل كائن محبوب منه
مقرب من نفسه وما دام الرجل أيضاً منطور على محبة نسله فن البديهي
أن يكون مكلفاً بوقايته والا كان الرجل كائناً غير عضوي .

فاذا فهمنا ذلك حق الفهم وجب علينا أن نسير الحياة الاجتماعية وفق
قوانين الطبيعة وأن نسعى لايجاد العوامل والمؤثرات اللازمة لتطبيق ذلك ،
علينا أن نفهم تماماً موقع المرأة والرجل في الهيئة ونصيب كل منهما من الحقوق
سياسية كانت أم مدنية ، اجتماعية أم شخصية ، فهما متساويان في مسؤولية
هذا الجرم شخصياً من كل الوجوه الا أنه لما كان لسقوط المرأة أثر أشد خطراً
على الاجتماع منه على الافراد فان العلماء الذين بحثوا في هذا الأمر تركوا

المواهب الفكرية وأطباء الاجتماع فوصفوا واستقروا ، وبحثوا وتقبوا ،
وشرحوا وعللوا ، ولكن جهودهم وقفت عند حد ما لا تتقدم ولا تتأخر
عند نظرية واحدة ، وجدوا أنها أقوم الطرق لحل هذه المعضلة هي نظرية
« الصفح » أجل لم يجدوا لذلك سوى « الصفح » لأنهم الأقوياء والمرأة
ضعيفة .

ولأنهم لا يريدون أن يحملوا الرجل مسؤولية ما في هذا الأمر الخطير
ينحطئ الكثيرون اذ يلقون مسؤولية هذا الجرم على المرأة وحدها دون
الرجل فهى وحدها التى تنال سهام لومهم وتقريعهم وعلى رأسها تصب جامات
الغضب بدعوى أن القوانين وعادات الاجتماع لم تكن وحدها الدافع لوقوع
المرأة فى مثل هذه الورطة وانما الطبيعة هى التى جعلت جرمها خطيراً الى هذا
الحد لانها مأمورة بالمحافظة على النسل ولانها مكلفة بأن تكون صادقة على
الدوام لزوجها الذى يستسلم اليها بكليته ويلقى بين يديها حياته وحياة أعقابه
وذريته .

فات هؤلاء أن الطبيعة كونت كل الأسباب والوسائط لسد حاجات
الكائنات وتسويه لوازمها تماماً بلا خطأ ولا نقصان وانما على شرط أن تكون
فى دائرة الحقيقة . فهل يجوز أن نقول للمرأة :

« الطبيعة هى التى خلقتك هكذا ، أنت مأمورة بالمحافظة على النسل ،
ووقاية النوع الانسانى ، ومكلفة بالصدقة لزوجك فى كل الظروف ، وعلى
رأسك فقط تقع مسؤولية السقوط » . يجوز لنا أن نقول ذلك مع ما نعلمه
من الفوارق بين الرجل والمرأة ومع ما نعلمه من هضم حقوقها ومع ما نعلمه
من توفر أسباب تحكم الرجل لها .

على أصحاب هذا رأى أن يعلموا قبل كل شيء أن المرأة أيضاً مخلوقة
من العظم واللحم وأن لها أيضاً ميل وانجذاب نحو الأذواق ومشتهيات النفس

مقدمة الطبعة الاولى

بقلم حضرة الكاتب القدير عبد العزيز افندى الخانجى
كل شىء فى العالم خاضع للطبيعة تتحكم فيه نواميسها ، فلكل كائن حى فى
الحياة قانون طبيعى يدير حركته ويقف سداً فى وجه من يريد تحويله عن السير
فى منحدره ، ولما كان الدماغ الانسانى كائناً فمن البديهي أن يكون له وعليه
ما لسائر الكائنات ، أى أن يكون له قوانين طبيعية خاصة تعينه على حياة
كاملة طبيعية فى دائرة هى دائرة الحقيقة كما تكون عوناً له على منازعة
ما يخالفها .

خلاصه هذه القوانين وزبدتها وعنصرها الفعال انما هى « الارادة » .
فكل ما يتعلق بالانسان من الماديات والمعنويات ، من المعقولات
والمحسوسات ، من المخترعات والمكتشفات ، تنمو وتتكامل فى هذا البناء
الرصين « بآء الارادة »

والانسان طالما كان بيده مثل هذا السلاح الماضى فالحكم له فى كل زمان
ومكان بشرط توفر كل المؤثرات والعوامل اللازمة لمحو وازالة ما لا يتفق مع
قوانين الطبيعة لأن الخطأ الصغير قد يقف حجر عثرة فى سبيل تحقيق الآمال
والقص البسيط قد يسبب الفشل والخيبة .

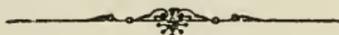
بعد هذه المقدمة الصغيرة أتتقل بك أيها القارىء الكريم الى مرض اجتماعى
خطير ابتلى به عصرنا الحالى ، عصر المدنية والنور ، مرض يئن من أعراضه
القاسية ، وأوجاعه الأليمة كل عضو حساس فى جسم هذا العالم المتمدين
وأعنى به « سقوط المرأة »

سرى هذا الداء فى بلاد النور سريان النار فى الهشيم وأنشب مخالبه فى
عنق المدنية بشكل رهيب أقلق العلماء والفلاسفة واسترعى اهتمام أرباب

خالص شكرى لتفضله بتشجيعى ولقد كان لكلمته الطيبة التى نشرها فى صحيفته عند ما ظهر الكتاب أكبر أثر فى ترويجه حتى أن طبعته نفذت فى مدة لا تتجاوز الثلاثة أشهر . ولا ينوتنى . فى هذه العجالة أن أشكر حضرات أصحاب الصحف والمجلات الذين تفضلوا بالتنويه بظهور الكتاب ، واعترافاً بفضلهم أذكرها بعضاً من كلماتهم كما أفدم شكرى لكل من عضدنى وساعدنى سواء بالكتابة عن الكتاب أو بتوزيعه بين القارئات الكريمات والقراء الكرام

وأخص بالذكر حضرة الاخ الكاتب النابه عبدالعزيز افندى أمين الخانجى الذى تفضل على بتصدير الكتاب بمقدمة فياضة فى نظرية السقوط . والله أسأل أن يوفقنا جميعاً الى أمنيئتنا الوحيدة ويكمل مجهوداتنا بالنجاح محمد رأفت جمالى

السكاكىنى ٣٠ ذى القعدة سنة ١٣٤٠ ، ٢٦ يولييه سنة ١٩٢٢



مقدمة الطبعة الثانية

المحمود الله سبحانه وتعالى ، والمصلى عليه النبي العربي وآله ، والمدعو له الوطن ورجاله وبعد :

انى وان صدرت هذا الكتاب بمقدمة كعادة المؤلفين فى تصدير كتبهم بمقدمات يفصحون فيها عن أغراضهم ويلمّون فيها ببعض موضوعات الكتاب الا أنى أطلب من القارئة الكريمة ، والقارىء الكريم ألا يقرأ هذه المقدمة الا بعد أن ينتهى من تصفح الكتاب ، لأنها أحق أن تسمى خاتمة يختم بها الكتاب من أن تنعت مقدمة يتقدم بها الى القارئ الكريمة والقراء الكرام .

كنت أنتظر أن ينتقد كتابى عديد من الصحف لأن الموضوع الذى طرفته من أخطر موضوعاتنا الاجتماعية ومن الموضوعات التى تتباين فيها الآراء والأفكار .

ولما كانت صحافتنا العربية فى العهد الحاضر أصبحت لا تهتم بأمر الأدب والأدباء ولا تعنى بانتقاد ثمرات المطابع نقداً علمياً صحيحاً يستفيد منه مصنف الكتاب وقرائه ، لأن السياسة — قاتلها الله — أشغلت أعمدة الصحف كلها وألهتهم عن كل شيء غيرهما حتى أنك أصبحت لا ترى كلمة عن كتاب فى صحيفة يومية عربية اللهم الا اعلان عن كتاب ظهر فى عالم الأدب يتكلف صاحبه دفع قيمة نشره أو نشره له الادارة مجاناً وهذا نادر قليل . ولقد تقدمت صحيفة الاجبشان ميل الغراء فترجمت أكثر فصوله للانجليزية صيف العام الماضى فدلّت بعمائها هذا على عناية جميلة واهتمام تشكر عليه فالى رئيس تحرير القسم العربى صاحب العزة سقراط اسبيرو بك أرفع

صحيفة الهداء

فمالي العزيز

الى نفسك العالية ، الى حظيرة عطفك الأبوي ، الى مقام حنانك
الوالدي أرفع هذه الباكورة دليلا على اخلاصي ما

« محمد رأفت جوالي »

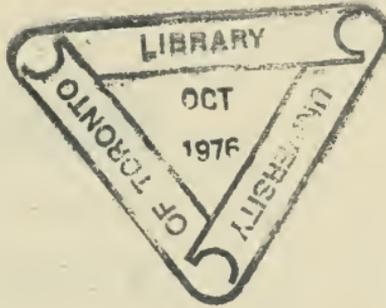


PJ

7840

A3963 M8

1922



مذكرات بعني

« الرجل والمرأة سواسية في جرم
السقوط أمام محكمة الحقيقة والوجدان »
« الخانجي »

بقلم

محمد باقر الخانجي

« الطبعة الثانية »

(مضافاً عليها بعض الزيادات)

التزام — « محمد عطيه »

« حقوق الطبع محفوظة »

تطلب من (المكتبة التجارية) بأول شارع محمد علي بمصر
لصاحبها « مهدي محمد »

منطبعة البنيان في بيروت محفوظة

3, 35

PLEASE DO NOT REMOVE
CARDS OR SLIPS FROM THIS POCKET

UNIVERSITY OF TORONTO LIBRARY

PJ
7840
A3963
M8
1922

Jamali, Muhammad Ra'fat
Mudhakkirat baghi

مدیران

مدیران